بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك.
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
برنامج ماجستير التربية في الإسلام.

****

العنـــوان

.الجوانب التربوية في فكر سيد قطب السياسي.

إعـــداد

أمجد عايش عبد الهادي أبو لحية .

إشـــراف

الدكتور : ياسر أحمـــد الشمالي مشرفا.
أ.الدكتور: مروان إبراهيم القيسي مشرفا مشاركا.

****

لجنة المناقشة :

د .ياسر احمد الشمـــالي رئيسا ----------

أ .د .مروان إبراهيم القيسي عضوا ----------

د .محـمد أمين بني عامـــر عضوا ----------

د . شحادة الحميدي العمري عضوا ----------

د .ماجـــد زكي الجـــلاد عضوا ----------

المحتوى

المحتوى ١

شكر وتقدير ٤

الملخص ٥

الملخص الإنجليزي ٦

الفصل التمهيدي ٧

الفصل الأول: عصر وحياة سيد قطب و أثره في شخصيته ١٤

المطلب الأول: عصر سيد قطب ١٥

المبحث الأول: الحالة السياسية ١٥

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية ١٩

المبحث الثالث: الحالة الفكرية والعلمية ٢١

المطلب الثاني: حياة سيد قطب ٢٣

المبحث الأول: مولده ونشأته وتعليمه ٢٣

المبحث الثاني: هجرته إلى القاهرة ٣٠

المبحث الثالث: رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ٣٢

المبحث الرابع: التزامه بالفكر والعمل الإسلامي ٣٤

المبحث الخامس: عمله السياسي ٣٦

المبحث السادس: استشهاده ٤٠

المطلب الثالث: ثقافته ومميزاته الكتابية ٤٢

المبحث الأول: تعليمه ومكونات ثقافته ٤٢

المبحث الثاني: سماته الكتابية ٤٤

المبحث الثالث: مؤلفاته ٤٦

الفصل الثاني: فكر سيد قطب السياسي وأبعاده التربوي ٥٧

المطلب الأول: الدولة في الإسلام ٥٨

المبحث الأول: تعريف الدولة في الاصطلاح القانوني والشرعي ٥٨

المطلب الثاني: المبادئ الأساسية لنظام الحكم ٦٣

المبحث الأول: مبدأ الحاكمية ٦٣

المبحث الثاني: مبدأ الشورى ٧١

المبحث الثالث: مبدأ العدل ٨٥

المبحث الرابع: مبدأ المساواة ٩٥

المطلب الثالث: وظائف ومهام الدولة الإسلامية ١٠١

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠١

المبحث الثاني: السلام ١٠٩

المبحث الثالث: الجهاد ١١٩

الخاتمة ١٢٦

المراجع ١٢٩

الإهداء ...

إلى :-

- والدتي ... التي وقفت حياتها من أجل أسرتها .

- والدي ... الذي رباني صغيرا، وصاحبني كبيرا، وما زال يبذل الكثير في سبيلي .

- زوجتي ... التي ما فتئت تشد من أزري وتهيئ لي الجو العلمي .

- كل مسلم غيور على دينه نشأ وتربى على طاعة الله تعالى .

إليكم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع ، ،

شكر وتقدير

الحمد لله كثيرا على ان هداني ووفقني لاتمام هذا العمل الذي يعتريه مـــا يعـــتري أي جـــهد بشري من النقص والخطأ.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي وصاحب الفضل الكبير علي الدكتور: ياسر الشـــمالي الـــذي صبر وصابر معي حتى أتممت الدراسة فجزاه الله عني كل خير.

واشكر كذلك الأستاذ الدكتور: مروان القيسي الذي وقف إلى جانبي في هذه الدراسة وقدم لي الأفكار والآراء التي استفدت منها والذي تجاوز كل التقاليد البيروقراطية فكان يستقبل هاتفي بكل ترحاب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم في جامعة اليرموك فاخلصوا في تدريسهم وتعليمهم فلهم كل الشكر والتقدير والعرفان.

الملخص

تتناول الدراسة من خلال فصليها الجوانب التربوية في الفكر السياسي الإسلامي من خلال أحد رواده في العصر الحديث وهو الشهيد سيد قطب رحمه الله تغالى ويظهر من خلالها الأثر التربوي الذي تحدثه طبيعة الحياة على الأفراد وذلك من خلال دراسة الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية التي عايشها سيد قطب رحمه الله ومدى انعكاسها على شخصيته، كما قامت الدراسة بالتعريف بشخصية الشهيد سيد قطب وذلك من خلال الدراسة التفصيلية لمراحل حياته المختلفة بدءا من نشأته في القرية ومرورا بأهم المؤثرات التي عاشها وانتهاء باستشهاده كما تم الحديث عن أهم سماته الفكرية والكتابية من خلال دراسة وصفية لأهم مؤلفاته التي نشرت تباعا وتم ترتيبها بناء على سنة النشر والتي أظهرت التطور الفكري والثقافي عند سيد قطب رحمه الله تعالى و من ثم تم الحديث عن البعد التربوي في الفكر السياسي الإسلامي عند سيد قطب من خلال المبادئ الرئيسة التي تقوم عليها الدولة الإسلامية (الحاكمية والشورى والعدل والمساواة) والوظائف المنوطة بالدولة الإسلامية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام والأمن العالمي والجهاد) باعتبارها المكلفة بذلك شرعا من الله تعالى.

وتوصلت الدراسة إلى تميز رؤية سيد قطب للنظرية السياسية الإسلامية عن غيره من المفكرين من خلال التأصيل المعرفي والربط بين مصادر التنظير السياسي وبين أراء المفكر السياسي الاجتهادية كما تتميز من خلال ربط الجانب السياسي بالجوانب الحياتية الأخرى الاقتصادية و الأخلاقية والاجتماعية والتربوية.....، باعتبارها نظام كامل متكامل يتأثر ببعضه لا سيما وانه نظام رباني جاء لسعادة الإنسان والسمو به عن سائر المخلوقات.

ويلفت الانتباه إلى أن عددا من المجلات والصحف التي كتب فيها سيد قطب مصدر غني بالأفكار المتعددة الموضوعات ومن الضروري جمع هذه المقالات وتوثيقها ودراستها دراسة موضوعية لأنها تمثل مرحلة تاريخية عاشتها الأمة كما انه من الجدير ان تقوم دراسات حول إشكالية الفكر والحركة عند سيد قطب والذي جمع بين كونه مفكرا وداعيا وحركيا فهي مجال خصب للدراسة.

الملخص الإنجليزي

This research is to investigate the policy through attitudes from an Islamic perspective through one of its pioneering figures in the modern age who is Sayed Quttob.

The research shows the educational element which is brought by the nature of life on persons, that is through a study of the political, social

And culture cases in which Sayed Quttob lived and their reflections on his Personality.

The research also deals with the definition of his character through a specific study of his different lives stages starting from his early days in his village and to the most important effects which he lived and finally by his death, the research talk about his most important feature through a descriptive study for his most important books which were published and arranged upon the date of publishing these books have revealed the development of thoughts and culture that Sayed Quttob had, After then, the research talks about the educational perspective through major principles on which the Islamic country depends (justice , equal rights ..

And on the jobs of the Islamic country (law and order, international security and Al-jihad……)

The research reaches to the superior vision of Sayed Quttob from his point of view to the Islamic policy through a connection between the political resources and the thoughts of the political person. It is also distinguished by the connection of the political aspect with other daily life aspects such as economical. Moral, Social and Educational… because they are considered a whole system each element affects the others because it is the Al-mighty system and came to make the humans happy and put them ahead of other creatures.

The research also leads the reader to a number of newspapers. Magazines…. in which Sayed Quttob wrote and are considered a rich resource of different thoughts of various subjects. It is essential to collect these articles and keep them in a file so that it can be studied by other researchers because it represents the historical age in which the Islamic nation had lived. It is also needed that more studies should take this subject into consideration because Sayed Quttob is a rich field of study.

الفصل التمهيدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الهدى المرسل رحمة للعالمين، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وقدوة المربين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد ،،،

يعتبر الفكر السياسي أحد الجوانب الرئيسة في تطور الحضارة الإنسانية ذلك لانه مرتبط ارتباطا مباشرا بالوجود البشري وسعي الإنسان الدائم لتفسير الأمور من حوله ومحاولاته المستمرة للتقدم والارتقاء[1].

ولقد تأثر الفكر السياسي وارتبط بالأشكال الثقافية والدعوات الأيدلوجية التي سادت وتسود الحضارات الإنسانية بل ان لكل حضارة مساهمتها البارزة في إضفاء طابع معين على فكرها السياسي ومده برافد جديد يتفق وأهداف العمل السياسي لهذه الحضارة.

فعلى سبيل المثال :ربطت الخبرة اليونانية من خلال أفكار عدد من مفكريها بين الفكر السياسي وبين القيم العليا المطلقة وبرزت فيها مفاهيم كمفهوم "الحكومة المختلطة" و "الديمقراطية مباشرة".[2]

أما على صعيد الخبرة الرومانية فقد أضفت على فكرها السياسي الطابع القانوني وارتبطت بالأطر النظامية والقانونية من خلال سعي تلك الحضارة إلى تقنين وجودها السياسي وترسيخ ثقافتها السياسية وليس على الصعيد الداخلي فحسب بل على الصعيد الخارجي من هنا برزت مفاهيم كمفهوم "القانون الدولي" بشكل واضح.[3]

فيما ارتبط الفكر السياسي في الحضارة المسيحية الوسطى بالمفاهيم الدينية والغيبية وبرزت مفاهيم كمفهوم "السلطة الثيوقراطية "و "مدينة الله"و"مدينة الشيطان" .....الخ.[4]

بينما قدم الفكر السياسي الغربي الحديث إضافات وإسهامات كبيرة كان لها اثر كبير للثورات السياسية الكبرى كالثورة الفرنسية والثورة الأمريكية فظهرت مفاهيم مرتبطة ارتباطا عضويا

---

[1] بدوي،محمد طه،المنهج في العلوم السياسية ،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،ط١،١٩٩٨م،صـ٤١،٤٢

[2] حامد ،ربيع،أبحاث في النظرية السياسية،أبحاث غير منشورة،جامعة القاهرة،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،صـ١٢٩،١٤٦ /انظر :غالي،بطرس بطرس،المدخل في علم السياسة،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط٧،١٩٨٩،صـ٢٦،٤٨

[3] ربيع،أبحاث في النظرية السياسية،صـ١٤٦،٤٥٦

[4] مجاهد،حورية توفيق،الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبدة،المكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط٢،١٩٩٢،ص١١١،١٢٠

بالعمل السياسي مثل: "الفصل بين السلطات" و "العقد الاجتماعي" وقبل ذلك كان ميكيافيلي يفك الاشتباك بين القيم والأخلاق والدين وبين السلطة السياسية.[1]

وشهد القرن العشرين صراعا أيدلوجيا عالميا بين الليبرالية الرأسمالية وبين الشيوعية الاشتراكية لما لكل منهما من فلسفة ورؤية خاصة بها تقتضيها مصلحتها فالأولى تربط بين سلطتها السياسية وبين قيم الحرية بأبعادها المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .[2]

أما الثانية الشيوعية الاشتراكية فإنها تربط بين سلطتها السياسية وبين قيمة المساواة وتجعل من مفهوم السلطة السياسية انعكاسا مباشرا لوضع طبقي بموجبه تستعلي الطبقة البرجوازية التي تمتلك وسائل الإنتاج وتتحكم فيها على الطبقة البروليتارية وفي هذا السياق يرتبط الفكر السياسي لديها بالرؤية التاريخية المادية وتحليل سياسي ينبثق عن هذه الرؤيا في رصده وتفسيره للظواهر السياسية المرتبطة بالوجود السياسي .[3]

وفيما يتعلق بالفكر السياسي الإسلامي قديما ووسيطا فلقد اختلفت وتباينت الاتجاهات الإسلامية واهم هذه الاتجاهات الاتجاه الفلسفي المتأثر بالتراث السياسي اليوناني وبرزت مع هذا الاتجاه مفاهيم عديدة مرتبطة بالقيم والأخلاق مثل مفهوم"المدينة الفاضلة"و"الوسطية والسعادة".[4] وأيضا هناك اتجاه "الأدب السلطاني"[5] المتأثر بالتراث السياسي الفارسي وأيضا الاتجاه الفقهي والذي تفاعل مع الواقع واعمل فكره فيما آلت إليه السلطة السياسية لا ما يجب أن تكون عليه .[6]

أضف إلى ذلك الاتجاه الاجتماعي والذي ربط بين الفكر السياسي والبنية الاجتماعية وما يتعلق بها من ظواهر اجتماعية في إطار علم الاجتماع السياسي وبرز في هذا السياق ابن خلدون بمفاهيم حول العمران ومفهوم "العصبية".[7]

---

[1] ربيع،أبحاث في النظرية السياسية،ص ص١٥٧،١٧٠/وانظر غالي،المدخل في علم السياسة ،ص٥٤،٥٨

[2] بيرلز،ادوارد وارم،النظريات السياسية في العالم المعاصر،ترجمة عبد الكريم احمد،دار الادب،بيروت،ط٢،١٩٨٨،ص١١،٨٦

[3] بيرلز،النظريات السياسية في العالم المعاصر،ص١١٣،١٨٥

[4] مراد،علي عباس،دولة الشريعة قراءة في جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا ،دار الطلبة،بيروت،ط١،١٩٩٩،ص٩٥،٩٦

[5] الماوردي ،ابو الحسن،الاحكام السلطانية ،دار الفكر،بيروت،د.ت. ص٥٩

[6] سوي،خير الدين يوم،تطور الفكر السياسي عند اهل السنة فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الاول من القرن الهجري،دار البشير،عمان،ط١،١٩٩٣،ص٢٢،٢٣

[7] الجابري،محمد عابد،فكر ابن خلدون والعصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي،مركز الدوسات الوحدة العربية،بيروت،ط٦،١٩٩٤،ص١٦٣،٢١١

أما الفكر السياسي المعاصر فبرزت فيه عدة اتجاهات منها ما هو تكرار واجترار بشكل او بأخر ومنها ما حاول التوفيق بين رؤية التراث السياسي الإسلامي وبين إسهامات الفكر الغربي الحديث .[1]

ومن خلال الاستقراء للفكر السياسي على اختلاف زمان ومكان مفكريه وفلاسفته نلحظ انه لم يهمل الجانب الأخلاقي والسلوكي للمجتمعات بل كان هذا الجانب يظهر إن لم يكن تصريحا فتلميحا على الرغم من اختلاف المعايير للقيمة الأخلاقية نظرا لاختلاف الظروف والبيئة الزمانية والمكانية.

وسيد قطب رحمه الله تعالى هو أحد المفكرين المعاصرين الإسلاميين الذين قدموا أرائهم واسهموا في إبراز الفكر السياسي والمحاولة لإيجاد النظرية السياسية الإسلامية الا انه يختلف عن غيره من المفكرين اهتمامه بالجانب التربوي في الفكر السياسي وربما يعود سبب ذلك إلى ظهور الانحلال السياسي والأخلاقي والانهزام الروحي للمجتمع الذي عاش فيه وسيطرة الدول الغربية على جل البلاد الغربية والإسلامية واستنفاد خيراتها وطاقاتها والمحاولات المتكررة لإحلال نمط الحياة الغربية على الإسلامية والعربية بكافة جوانبها السياسية والأخلاقية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية والفكرية ..... كما يعود سبب ذلك إلى انه جمع بين كونه مفكرا وداعيا وحركيا قام باستقراء التاريخ الإسلامي فكانت محاولاته الجادة لإيجاد المجتمع الإسلامي عن طريق تربية الأفراد ليتسنى إيجاد ذلك المجتمع المسلم والتي تجلت صورته بالجيل الذي أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم،ومن خلال نظرته إلى أن التربية الإسلامية لا تكتمل ولن تؤتي ثمارها إلا إذا كانت السلطة السياسية تقوم على منهج الله تعالى وتعمل على تطبيق شريعته تجنبا لوجود الفصل بين ما يتربى عليه الأفراد وما هو مطبق في الدولة.

ومن هنا يظهر الهدف من الدراسة: فما هي إلا محاولة لتحليل أبعاد وطبيعة الفكر السياسي عند الشهيد وإبراز للجوانب التربوية من خلال فكره السياسي انطلاقا من مقولة (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقران) .

وإذا اعتبرنا ان الجودة من مسوغات الدراسة والبحث العلمي الجاد فيجب القول انه من خلال الاطلاع على معظم ما خلفه الشهيد من تراث فكري اثبت من خلاله انه يمتلك موهبة أصيلة تستأهل الدراسة والتاريخ ،موهبة قامت على أساس فطري ولد معه وعلى إصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى استطاعت أن تخلف إنتاجا فكريا ملحوظا يضعه في مصاف الرواد ومكنته من التعبير عن عقيدته وعن مبادئه وعن دعوته تعبيرا صادقا ضرب به المثل لكل مفكر على أن (كل كلمة عاشت..... قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي

---

[1] شلبي،منير،الفكر الاسلامي المعاصر والتحديات ،الناشر لطباعة والتوزيع،بيروت،ط٣،١٩٩١م،ص٢٥،٣٤

ولدت في الأفواه وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي فقد ولدت ميتة ،ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام وان أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة والناس لا يتبنون أمواتا).

والبحث لم يسبقه في مجاله سابق وكل ما هنالك من بحوث ودراسات منها ما اقتصر على دراسة شخصية سيد قطب بصفته مجاهدا وقف أمام الطغيان واستبسل للدفاع عن عقيدته وبذل روحه رخيصة في سبيل الله ومنها ما تناول الجانب الأدبي بصفته أديبا وناقدا وشاعرا ومنها ما تحدث فيه عن كتب سيد قطب على سبيل التعريف بها،ومن هذه الدراسات والبحوث : دراسة لمحمد علي قطب بعنوان (سيد قطب مع فكره أو ثورة الفكر الإسلامي) وعدة دراسات لصلاح الخالدي منها (الشهيد الحي سيد قطب) وأخرى بعنوان(في ظلال القران في الميزان) ودراسة بعنوان(نظرية التصوير الفني في القران) وبحث لعبد الرحمن البليهي بعنوان(سيد قطب تراثه الفكري والأدبي) ودراسة لمحمد توفيق بركات بعنوان(سيد قطب خلاصة حياته منهجه في الحركة ،النقد الموجه إليه) ودراسة لعبد الباقي محمد حسين بعنوان(سيد قطب حياته وأدبه) ودراسة لأحمد البدوي بعنوان (سيد قطب ناقدا) ودراسة لعبد الله الخباص بعنوان (سيد قطب الأديب الناقد) ودراسة لأحمد العشماوي بعنوان(العالم الرباني الشهيد سيد قطب) ودراسة لصلاح محمود شحاته بعنوان(العلاقة المجازية في كتاب في ظلال القران) ودراسة لإسماعيل الحاج بعنوان(سيد قطب ومنهجه في التفسير) ..... .

وإذا كانت هذه البحوث والدراسات قد بعدت عن دراسة الفكر السياسي وإبراز الجانب التربوي من خلاله إلا أن الباحث ولا شك قد أفاد منها ووقف من خلالها على كثير من المصادر والمعلومات المتنوعة .

والبحث بعد هذا يقع في فصلين:

الفصل الأول: عصر وحياة سيد قطب:

وتم الحديث فيه عن طبيعة الحياة التي عايشها سيد قطب من حيث الجانب السياسي وما كان فيه من اضطراب وعدم استقرار ،والجانب الاجتماعي حيث وجود الطبقية والفروق في المجتمع والانحلال الأخلاقي والفساد السلوكي ومحاولة تقليد الغرب في أنماط حياتهم وسلوكهم ، والجانب

الفكري والثقافي وما كان فيه من صراع بين الأخذ الكامل بالثقافة الغربية والانفتاح عليها بحلوها ومرها للوصول إلى ما وصلت إليه تلك الحضارة وبين ضرورة العودة إلى الإسلام كمنهج الـهي كامل فيه الحل لكافة المشاكل وسبب كل حضارة وتقدم ورقي ولا يعني ذلـك المقاطعـة التامـة للحضارة الغربية وإنما الأخذ منها بما يتفق مع ديننا الحنيف.

وفيه عالج الباحث جزء من الدراسة في إطار السعي للتعريف بالشهيد سيد قطب وشـخصيته دراسة تفصيلية بدءا من مراحل نموه في القرية والأسرة والمدينة وبيان اثر كل مرحلة من هـذه المراحل في شخصيته ثم انتقل الباحث للتعريف بأهم سمات الشخصية الفكرية والكتابية من خلال مؤلفاته ومن ثم التعريف بأهم كتبه وتراثه الإسلامي وقام الباحث بترتيب هذه المؤلفـات حسـب تسلسلها معتمدا بذلك على سنة النشر لكل مؤلف.

الفصل الثاني: الفكر السياسي الإسلامي عند سيد قطب وأثره التربوي:

وفيه عالج الباحث الفكر السياسي الإسلامي عند الشهيد سيد قطب من خلال تمـيز رؤيتـه بضرورة إيجاد الدولة الإسلامية ــ والعمل على ذلك ــ، القائمة على عدد من المبادئ الإسـلامية كما كانت في الجيل الأول في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لتتمكن من القيـام بوظيفتـها الأساسية التي وجدت هذه الأمة من اجلها فكان الحديث عن الدولة الإسلامية من وجهة نظر سـيد قطب ومن الناحية القانونية في التشريع الوضعي، ومن ثم تعرض الباحث للحديث عن المبـادئ الأساسية التي تقوم عليها الدولة الإسلامية من خلال كلام الشهيد سيد قطب فكـان أولـها مبـدأ الحاكمية والذي تستقي منه باقي المبادئ شرعيتها ووجوب العمل بها وثانيها الشورى وتـم فيـه التفريق بين الديمقراطية كمنهج وضعي تدعو إليه الدول العظمى وبين الشورى كمنـهج الـهي متميز وثالثها العدل في القول والفعل سواء كان في ميدان القضاء والحكم أو مع الأعداء أو عنـد تولى الوظائف العامة وفي مختلف مجالات الحياة العامة ورابعها المساواة في الحقوق والواجبـات والمساواة أمام القانون بين المسلمين أنفسهم أو من يسكن معهم من أهل الذمـة بالإضافـة إلـى المساواة في تحمل التكاليف المالية والأعباء المادية وبيان الجوانب التربوية لكل مبدأ على حـدة واثر ذلك على الأفراد والمجتمعات، أما الوظائف فكان أولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتم من خلالها بيان أن هذه الوظيفة لا تقتصر على الدولة أو مؤسساتها وإنما هي وظيفة يشـترك فيها الأفراد كل حسب موقعه ومسؤولياته كما تم التوضيح بان هذه الوظيفة لا تعد من قبيل التدخل في الحريات الشخصية للأفراد إذ الهدف الأساسي للدولة الإسلامية المحافظة على المجتمع نقيـا صافيا وتغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وثانيها السلام بأنواعه فكان الحديـث عـن

سلام الفرد مع نفسه وكيف جاء الإسلام بتشريعاته ليحفظ للفرد أمنه وطمأنينته واستقراره ليرتقي به روحيا وفكريا وخلقيا ثم سلام الأسرة فشرع الإسلام الزواج ليحيا الفرد ضمن إطار الأسرة فينمو فيها ويكتسب مهاراته ومعارفه من خلالها ويهذب رغباته ويعدل سلوكه من جوها ومن ثم سلام المجتمع الذي يندمج فيه الفرد فتتشابك مصالحه مع مصالح المجتمع وتتفاعل قدراته وقواه مع غيره من الأفراد ليعمل الجميع من اجل تحقيق أهداف وغايات هذا المجتمع وأخير الحديث عن السلام الدولي والأمن العالمي الذي لن يتحقق ولن يكون إلا إذا عم السلام الأفراد والأسر والمجتمعات وثالثها الجهاد وفيه يظهر السلام في الإسلام اصل وان الجهاد استثناء والجهاد في الإسلام حركي وليس دفاعي ،وتم بعد ذلك أيضا إبراز الجوانب التربوية لهذه الوظائف وبيان أثرها على الفرد والمجتمع والدول.

وأخيرا جاءت الخاتمة لتسجل أهم النتائج والمقترحات والتوصيات التي توصل إليها الباحث في دراسته هذه.

وختاما فما هذا إلا جهد بشري يعتريه ما يعتري الإنسان من الصواب والخطأ ،والزلل والنسيان، فان أصبت وأحسنت من الله وفضله ،وان أخطأت فمن نفسي والشيطان واسأل الله العظيم أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان يكون في ميزان حسناتي يوم لقائه انه سميع مجيب.

الفصل الأول

عصر وحياة سيد قطب و أثره في شخصيته

المطلب الأول: عصر سيد قطب

المبحث الأول: الحالة السياسية

تعد مصر مركز الثقل للعالم الإسلامي، كما تعد الأحداث والمتغيرات السياسية ذات أهمية من حيث تأثيرها في العالم الإسلامي أجمع، ولذلك نجد اهتمام المراقبين السياسيين لرصد الأحداث فيها، كما نلمس تركيز أعداء الأمة عليها في مؤامراتهم ومخططاتهم .

قبعت مصر تحت الاحتلال الفرنسي أولا عندما احتلها نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا سنة ١٧٩٨ ومكث فيها ثلاث سنوات إلى أن تم ترحيله عنها في سنة ١٨٠١م[١].

وفي أواخر القرن التاسع عشر بليت مصر بحكم الخديويين والملوك، الذين اعتمدوا في حكمهم على الخبراء الفرنسيين والبريطانيين، وشاركوا بسوء تصرفاتهم وافتقارهم إلى الرؤيا البعيدة في تدخل تلك الدول في الشؤون المصرية الداخلية، مما أدى إلى اضطراب الشارع المصري وقيام الثورات الشعبية وظهور الأحزاب السياسية، ولعل من أهم تلك الثورات الثورة العرابية على الخديوي (توفيق) والتي أوشكت على النجاح لولا التدخل العسكري البريطاني الذي قام بإخمادها في معركة (التل الكبير) ونفي زعماءها إلى الخارج[٢]، وبذلك حكمت بريطانيا مصر حكما مباشرا سياسيا وعسكريا واقتصاديا وفكريا، وهكذا قبعت مصر تحت نير الاحتلال، وبقي الوضع السياسي بين مد وجزر وكثرت الثورات الشعبية وازداد على الساحة أشكال كثيرة لأطياف العمل السياسي والتي كانت تنادي بضرورة الاستقلال وإعادة الحياة البرلمانية إليها.

وكان من أوائل هذه الأحزاب (الحزب الوطني) والذي أنشأه (مصطفى كامل) وكان هذا الرجل صاحب اتجاهات إسلامية إلا أنه لم يعمر طويلا فقد توفي بعد عام من إنشائه للحزب[٣].

كما ظهر حزب (الوفد) بزعامة (سعد زغلول) الذي أصبح فيما بعد وزيرا وشكل الوزارة المصرية أكثر من مرة .

وفي عام ١٩١٤، قامت الحرب العالمية الأولى، وانضم الخديوي (عباس حلمي الثاني) إلى تركيا في حربها ضد الحلفاء، فقامت بريطانيا بخلعه وتنصيب (حسين كامل) ودخلت مصر بذلك مع الحلفاء، وأصبحت قاعدة لبريطانيا.

---

[١] للاستزادة، عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، مطبعة حداد، د.ت ص٩٩-١٣٥

[٢] عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٢٠٧، ص٢٥٣، ص٣٢٦، ص٣٣٧

[٣] عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٣٧٤

وفي عام ١٩١٩م قامت ثورة شعبية عنيفة استمرت فترة طويلة بقيادة (سعد زغلول) وتمكنت بريطانيا من القضاء عليها ونفي زعمائها[١].

وفي عام ١٩٢٨، أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة (الأخوان المسلمين) وراح يدعو فيها إلى الالتزام بالإسلام، وأخذ يربي الشباب وينظمهم وكان لهذه الجماعة أثر بارز وملموس على المستوى السياسي والفكري والاجتماعي[٢].

وفي عام ١٩٣٦، وقع (مصطفى النحاس) زعيم حزب الوفد اتفاقية مع بريطانيا اعترفت فيها باستقلال مصر، بشرط بقاء معسكرات للجيش البريطاني على ضفاف قناة السويس، مما أدى إلى قيام مظاهرات تندد بوجود الاحتلال، وتحولت هذه المظاهرات، إلى أعمال فدائية منظمة، استهدفت الجيش البريطاني ومنشآته[٣].

وفي عام ١٩٤٢، حاصرت الدبابات البريطانية قصر الملك وطلبت منه أن يكلف (مصطفى النحاس) بتشكيل الوزارة وإلا فإن عليه أن يستقيل مما أدى إلى استياء عام عند الشعب بكافة فئاته، وسقطت اسهم (حزب الوفد) الذي جاء للحكم بتأييد معنوي ومادي بريطاني[٤].

وفي الحرب العالمية الثانية، انضمت مصر إلى بريطانيا ضد دول المحور، ودخلت بذلك حربا لا ناقة لها فيها ولا جمل، ووضعت كافة الإمكانات والموارد المادية والبشرية لهذه الحرب، مما أدى إلى تململ واستياء من قبل الشعب.

وفي عام ١٩٤٨، كانت النكبة، فقد أعلنت إسرائيل قيام دولتها بعد أن تمكنت من هزم جيوش سبع دول عربية، تكبد الجيش المصري فيها خسارة فادحة، مما أثار روح الهزيمة في نفوس الشعوب العربية والإسلامية كافة[٥].

وفي عام ١٩٥٢، قام في الجيش المصري (تنظيم الضباط الأحرار) بانقلاب عسكري على الملك، وتسلم نظام الحكم، ووقع معاهدة مع بريطانيا تنص على الاستقلال التام في مدة أقصاها عام ١٩٥٦[٦].

---

[١] حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٧٢م، ص١٤٣

[٢] زكي، محمد شوقي، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، د. ت، ص٣٢

[٣] عنبتي، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥١٠-٥١٣

[٤] عنبتي، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥١٥-٥١٦

[٥] عنبتي، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٧١٠-٧١٢

[٦] عنبتي، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥٢٣-٥٣٢

وفي عام ١٩٥٦، أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، ووقع العدوان الثلاثي على مصر واحتل اليهود سيناء، وأجريت المفاوضات وتحت الضغط الأمريكي، انسحب اليهود من سيناء، مقابل توقيع اتفاقية تعهد فيها عبد الناصر بتجميد الوضع على الحدود مع اليهود عشر سنوات، ووضع قوات دولية على الحدود[١].

وفي عام ١٩٥٨، أعلنت مصر الوحدة مع سوريا، وبدأ الميل إلى المعسكر الاشتراكي وراج الفكر الاشتراكي كتنظيم سياسي حتى كان عام ١٩٦١ حيث وقع انقلاب عسكري في سوريا وانفصلت الوحدة ما بين الدولتين[٢].

وفي عام ١٩٦٣، تدخل الجيش المصري في اليمن بعد الانقلاب الجمهوري الذي وقع فيها وتورط الجيش المصري هناك، وخسر الكثير من الموارد البشرية والمادية واستمرت هذه الخسائر حتى عام ١٩٦٨[٣].

وفي عام ١٩٦٧، وقعت النكبة العربية حيث تمكن اليهود من هزيمة جيوش ثلاث دول عربية مجتمعة خلال ساعات واحتل اليهود كامل الأراضي الفلسطينية وسيناء والجولان[٤].

من خلال هذا الاستعراض السريع والموجز للأحداث السياسية في مصر يتضح لنا جليا، أن الشعب المصري وقع تحت نير الظلم والاضطهاد السياسي فترة زمنية كبيرة، سواء كان على يد الخديويين والملوك، أو على يد المستعمر، وذلك من خلال التدخل المباشر أو غير المباشر من قبل الاستعمار في الشؤون الداخلية لمصر، أو من خلال الفساد السياسي الذي عم فكر رجال الثورة، أو التقلبات السياسية السريعة أو الحروب العالمية الخارجية.

كل ذلك كان له أكبر الأثر وأشد التأثير في نفس المجتمع المصري قاطبة باختلاف شرائحه وانتماءاته السياسية، ولما كان سيد قطب -رحمه الله تعالى- هو أحد أبناء هذا الشعب الذي واكب ذلك الظلم والفساد السياسي، فقد جعله ساخطا وغاضبا على تلك الأوضاع، وقد صور سيد -رحمه الله تعالى- تلك الأوضاع السياسية المضطربة موضحا، كيف أن الهوية السياسية في مصر تسير على غير هدى، فيقول: (نستطيع من دراسة الأدب في مصر في العصر الحديث أن نلمح أنها تجتاز فكرة اضطراب، وبحث عن اتجاه لم تستقر عليه الأفكار، حينما نرى عدة اتجاهات إلى

---

١ عنيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥٣٤، ٥٣٥ ؛ ص٧٢٨

٢ عنيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥٤١، ٥٤٢

٣ عنيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٦٨١

٤ عنيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٧٣٥-٧٤١

أقصى اليمين وأقصى اليسار، بعضهم يفتش عن المثل في أطواء تاريخنا القديم في عصر النهضة الإسلامية، وبعضهم يمجد الفرعونية، وبعضهم يتجه إلى أوروبا وأمريكا، وبعضهم يتجه إلى روسيا، كما أن بعضهم ينطوي على نفسه عازفا عن المجتمع وما فيه، هي حالة تموج واضطراب قد تتمخض عن انقلاب وقد تتمخض عن استقرار)[1].

ويوضح حال المجتمع الغاضب والناقم على تلك الأوضاع بقوله: (كل ما في البلد جدير بالشكوى، كل ما فيها يلذع بالألم وإن التألم والشكاة لدليل على عدم الرضا ودليل السعي لتغيير هذه الأوضاع)[2].

ثم يعلن غضبه وسخطه وعدم رضاه عن تلك الأوضاع فيقول: (لو وكل الأمر إلي لأنشأت ضعف هذه المدارس التي تنشئها الدولة لأعلم الشعب فيها شيئا واحدا هو السخط، السخط على الأوضاع والمظاهر الشائهة التي تسيطر على حياة هذا الجيل في كل اتجاه)[3].

---

[1] قطب، سيد، النقد الأدبي، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص١٤٩ - ١٥٠

[2] قطب، سيد، مهمة الشاعر في الحياة، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، د.ت، ص٩٢ وما بعدها

[3] مجلة الرسالة مجلد ٢ عدد ٦٩١، ص ١٨٠١ - ١٨٠٢

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

إن العلاقة بين الفرد والمجتمع هو الموضوع الرئيس الذي يدرسه علم الاجتماع، ولما كانت الصلة وثيقة ما بين مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية والدينية، فإن أي خلل أو اضطراب في إحداها لابد وأن يؤثر في غيره سلبا وإيجابا، وكما رأينا سابقا في الحالة السياسية المضطربة التي كانت مصر تعيشها، نجد أن هذا الاضطراب قد انعكس على الحياة الاجتماعية مما أدى إلى إفسادها، حتى أصبح المجتمع ضعيفا هزيلا ممزقا، لا يستطيع أن يقف في وجه ظالمه من الداخل وجلاده من الخارج.

فقد تميزت الحياة الاجتماعية في مصر في تلك الحقبة -كما هو الحال في معظم الدول العربية والإسلامية- بظهور الطبقية الاجتماعية المتباينة فيما بينها، وظهرت طبقتان واضحتا الملامح والصفات:-

الأولى:- وعلى رأسها الملك وأفراد أسرته وحاشيته والباشوات وكبار الملاك من الإقطاعيين، وكانت هذه الطبقة تملك السلطة والصلاحيات، وتتلاعب بالقوانين حسب أهوائها، فيتحكمون فيمن هم دونهم من فئات الشعب الكادح والمزارعين والأجراء الذين يعملون لديهم في أراضيهم، وكان الفساد الأخلاقي والفكري منتشرا وظاهرا في هذه الطبقة -إلا من رحم ربي- وكان ذلك أثر الانفتاح المباشر على الدول الغربية، بالإضافة إلى معاشرتهم واختلاطهم للجاليات الأجنبية التي كانت تسكن القاهرة والمدن المصرية الأخرى مثل: اليهودية والإيطالية والبريطانية والأرمنية وغيرها؛ وقد تمكن أبناء هذه الطبقة من إتمام دراستها وتعليمها الأكاديمي في داخل البلاد وخارجها، مما أهلها لاستلام المراكز الرسمية والعليا في أجهزة الدولة[1] .

الثانية:- وتتكون من بقية أفراد الشعب تقريبا من العمال والمزارعين الذين يملكون النزر اليسير من الأرض والمال، والتي كانت تثقل كاهلها الضرائب التي كانت تجنى معظم نتائج الأرض، أو المزارعين والعمال عند الطبقة الأولى، والتي كانت تقوم على خدمتها والعمل في أراضيها من أجل كسب لقمة العيش، وتميزت هذه الفئة بالبساطة والسذاجة، وحرم أبناؤها من التعليم وانتشرت فيها نسبة الأمية، وسلكوا نهج آبائهم وأصبحوا عمالا ومزارعين في أراضي أسيادهم، ومنهم من ذهب للقاهرة للعمل في مصانعها[2] التي انتشر فيها الاختلاط والفساد والانحراف الأخلاقي.

---

[1] عنبق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٣٠٣ وما بعدها، وانظر فضل الله، مهدي، مع سيد قطب في فكره السياسي والديني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ص٨٢

[2] فضل الله، مع سيد قطب، ص٨٠

كما ظهر في القاهرة الفكر الغربي والذي أصبح ينادى به من قبل المفكريـــن المســتغربين، ومن هذه الأفكار (تحرير المرأة) والذي نادى بها (قاسم أمين) ومن سار على نهجه[1]، فخرجـــت المرأة من خدرها وحياها، وظهر التبرج وتقليد الغرب في لباسه ومفاسده.

كما وجد المبشرون في هذا المجتمع أرضا خصبة لنشر أفكارهم ومبادئهم وتحقيق أهدافـــهم، فانتشرت الكنائس وقدمت يد العون المادي للفقراء لإخراجهم من دينهم، وبنيت المشافي التبشـيرية لتقديم العلاج المجاني، وأنشأت المدارس العلمانية لأبناء الفقراء[2].

---

[1] حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص١١٠-١١١،

وانظر قطب، محمد، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط٢، ١٩٨٨م، ص٣٠٩-٣١٣

[2] حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص٣٢٣ وانظر قطب، واقعنا المعاصر، ص٣٠٤-٣٠٥

المبحث الثالث: الحالة الفكرية والعلمية

تعد مصر المنارة الفكرية والأدبية والإسلامية في العصر الحديث، كما كان لها قدم السبق في النقل الأدبي والفكري والعلمي مما أسهم في نهضة فكرية على مستوى العالم العربي والإسلامي ولعل ذلك يعود لما يلي:-

١. انتشار المطابع في وقت مبكر، مما أدى إلى إصدار الصحف والمجلات، والتي لها أثر بارز في النهضة الفكرية الحديثة.
٢. وجود الجامع الأزهر والذي أثرى الأمة الإسلامية بأفواجه المتخرجين منه والذي يعد منارة علمية كبيرة.
٣. الإقبال على مدارس البعثات التربوية الأجنبية، والترجمات المختلفة للعديد من الكتب .
٤. متابعة العديد من الشباب المصري تخصصهم العالي في الدول الأجنبية واطلاعهم على الثقافات الغربية الحديثة.

ولما كانت الحياة السياسية في اضطراب وعدم استقرار، فإن ذلك أثر بشكل مباشر على الحياة الفكرية وارتبط بها ارتباطاً وثيقا، (فبعد الاحتلال الفرنسي تضعضع البنيان الاجتماعي وهزت المفاهيم الفكرية التي كان المجتمع المصري يخضع لها بسبب الانفتاح على الغرب.)[١]

وبعد أن استقر الحكم (لمحمد علي) في البلاد وقع المجتمع المصري تحت تأثير العلم والتكنولوجيا والفكر وأساليب التنظيم الغربي الحديث، وظهرت حركة الاقتباس من الغرب بعد أن فتح الباب على مصراعيه أمام المؤثرات الغربية، مما أدى إلى تفكك القوالب الاجتماعية والنمط الفكري والثقافي[٢].

وبعد أن تغلغل الاحتلال الإنجليزي في مصر، أخذت الأولى تروج لفكرها وثقافتها ووجدت قبولا لتلك الأفكار بعد تفوقها المادي، وبذلك كان الجيل الجديد الذي نشأ في عهد الاحتلال البريطاني أقرب إلى قبول المدنية الغربية بكل ما تحتويه من آرائه[٣] .

---

[١] عنبق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٢٧

[٢] عنبق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٢٨ وانظر قطب، واقع المعاصر، ص٣٠٥

[٣] عنبق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٢٩

ونتج عن هذه التطورات صراع بين فكرين:-

الأول:- فكر متحمس للأخذ عن الغرب وثقافته وفكره، باعتباره وسيلة إلى نهضة الشعب ورقيه.

الثاني:-فكر مدافع عن تراثه باعتباره بؤرة الكيان الذاتي ومنبع المقومات الأصيلة[1].

وتمثل **الفريق الأول:** بالأدباء والنقاد والمفكرين ممن عرفوا بشيوخ الأدب، أمثال طه حسين وأحمد أمين و رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين ومن تتلمذ على أيديهم، بجانب عدد من المثقفين الذين درسوا وأنهوا تعليمهم العالي في الغرب فعادوا متأثرين بذلك الفكر وتلك الثقافة بكل محتوياتها.

أما الفريق الثاني: فتمثل بشكل واضح بمجموعة من العلماء، مثل محب الدين الخطيب ومصطفى صبري ومحمد بشير الإبراهيمي ومحمد الخضر حسين والرافعي وغيرهم[2]، بالإضافة إلى علماء الأزهر، ومن ثم بظهور جماعة الأخوان المسلمين بقيادة الشهيد (حسن البنا) رحمه الله تعالى، والتي تمكنت من إحداث تيار فكري وثقافي إسلامي، فقد وضع رجالها العديد من المؤلفات الإسلامية التي تعالج مختلف شؤون الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية بشكل عام، كما قادوا الفكر الإسلامي من مرحلة الدفاع على استحياء إلى مرحلة الهجوم والبلاغ.

---

١ عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٢٩، وانظر قطب، واقعنا المعاصر، ص٣٠٨-٣٠٩

٢ حسين، الاتجاهات الوطنية، ص٥٠-٥١

المطلب الثاني: حياة سيد قطب

المبحث الأول: مولده ونشأته وتعليمه

هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسين بن شاذلي، ولد في قرية (موشا) إحدى القرى التابعة لمحافظة أسيوط[1] في الصعيد، وذلك في سنة ١٩٠٦م.

كان سيد -رحمه الله تعالى- هو الابن الأول لأمه بعد أخت شقيقه تكبره بثلاث سنين، وأخ غير شقيق يكبره بجيل كامل، فلم تكن أمه الزوجة الوحيدة لأبيه، الذي ينتمي لمجتمع قروي يعتبر الأبناء ثروة عند المفاخرة والمفاضلة؛ فقد كان لأبيه زوجتان وكانت الثانية هي أم سيد.

أنجبت أم سيد أولادا ذكورا وإناثا هم: نفيسة و سيد وأمينة ومحمد وحميدة، وكان مولد سيد حدثا سعيدا لأمه بصفة خاصة، مما دعاها إلى الحرص عليه والاهتمام به اهتماما خاصا، (حتى لم يكن يترك ليلعب في الشوارع ويجوب طرقاتها كالأطفال حفاظا لملابسه النظيفة من القذارة، وحماية له من التلوث بأخلاق أولاد القرية وألفاظهم البذيئة)[2]. ومن الجدير بالذكر أن الأخوة الخمسة[3] قدموا خلال حياتهم للدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي الشيء الكثير، على المستوى الفكري بما يدل على المستوى التربوي الإسلامي الرفيع الذي عاشه الأخوة في بيت الأسرة.

---

[1] تبعد مسافة (٣٧٥) كيلومتر جنوب القاهرة.

[2] قطب، سيد، طفل من القرية، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٤، ١٩٦٧م، ص٣٣.

[3] نفيسة: أخته الكبرى، قدمت فلذة كبدها في سبيل الله (وهب بكر شافع) حيث استشهد عندما سجن مع جماعة الإخوان المسلمين وهو تحت التعذيب، كما عذب ابنها الثاني (عزمي)، و لم تسلم هي أيضا بالرغم من كبر سنها، و لم تخرج من السجن إلا بعد استشهاد ابنها وكان عمرها يناهز (٦٥) عاماً.(جابر رزق، مذابح الإخوان في سجون ناصر، ص١٣٣- ١٣٤).

سيد: شخصية بحثنا هذا ...

أمينة: أصغر من سيد، كانت مثقفة ولها مجموعة من القصص التي تنبع من التصور الإسلامي للأدب والحياة، كما أنها شاعرة وكاتبة تتسم كتاباتها بالإسلامية، نالها أيضا نصيب كبير من التعذيب في محنة الأخوان المسلمين .(قطب، طفل من القرية، ص٢٠٢ . الأطياف الأربعة ص٨).

محمد: حصل على دبلوم التربية وعلم النفس بالإضافة إلى الليسانس في اللغة الإنجليزية، عمل موظفا بوزارة التربية والتعليم، سار على طريق الدعوة إلى الله وصبر على ذلك، سجن وعذب مع جماعة الإخوان المسلمين، قدم للمكتبة الإسلامية العديد من الكتب التي تعتبر من النفائس، تأثر بأسلوب سيد في الكتابة، شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية داخل البلاد الإسلامية وخارجها وألقى العديد من المحاضرات الإسلامية والتي أفاد بها العمل الإسلامي ووجدت صدى واسعا في نفوس الشباب المسلم . (واقعنا المعاصر ص٥).

حميدة: أتمت دراستها في القاهرة، تعد من الأديبات المسلمات والكاتبات الملتزمات، قامت بمهمة عظيمة مع الأخوان المسلمين في رعاية أسر المعتقلين، كما كانت الرسول الأمين للتنظيم الإخواني بين سيد وجماعة الأخوان المسلمين في إيصال التوصيات والتعليمات للتنظيم، كما كانت المساند الأول للمجاهدة (زينب الغزالي).سجنت وعذبت في المحنة قضت في السجن حوالي سنوات وأربعة أشهر. (مذابح الإخوان في سجون ناصر، ص١٣٤).

ذلك البيت الذي توافر فيه الحب والحنان، والرعاية والاهتمام بالإضافة إلى التقويم والتهذيب، المتمثل بوعي الأم وحزم الأب، مما يدعو إلى دراسة واقع الأسرة لبيان مدى تأثيرها على حياة شخصية سيد قطب -رحمه الله تعالى-.

نشأ سيد -رحمه الله تعالى- وترعرع في قريته، ضمن جو أسري معتدل، حيث هيأت له مشيئة الله تعالى أماً فيها نوع من الرقي العلمي بجانب الوجاهة الاجتماعية، فقد كان والدها رجلا أزهريا تقيا ثريا، بالإضافة لدراسة اثنين من إخوانها في الأزهر الشريف، وكان والدها قد قضى شطرا من حياته في القاهرة، ولما عاد إلى القرية، أنشأ فيها بيتا يشبه إلى حد كبير بيوت العاصمة في ترتيبه ونظافته[1]، وبذلك كانت الأم في تربيتها الأولى في بيت والدها قد أخذت من الأخلاق أحسنها واتصفت بالإيمان والثقة والعزة والكرامة، كما تزودت بالوعي والمسؤولية والنضج، مما أثر في تربيتها لأبنائها بعد ذلك في بيت زوجها، فقد أخذت تعد العدة لأن يصبح أبناؤها جميعا على مستوى إخوانها فينالوا العلم والأخلاق ليرفعوا من شأن الأسرة وبذلك تحفظ اسمها ومجدها .

يتحدث سيد -رحمه الله تعالى- عن أمه وعن تقواها وطاعتها وشدة إيمانها، وحرصها على الاتصال بكتاب الله تعالى: (لطالما تسمعت من وراء الشيش في القرية للقرّاء يرتلون في دارنا القرآن طوال شهر رمضان، وأنا معك أحاول أن ألغو كالأطفال فتردني منك إشارة حازمة وهمسة حاسمة، فأنصت معك إلى الترتيل وتشرب نفسي موسيقاه، وإن لم أفهم بعد معناه، وحينما نشأت بين يديك بعثت بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتح الله علي فأحفظ القرآن، وأن يرزقني الصوت الرخيم فأرتله لك كل آن)[2].

ويتحدث عن كرمها وحرصها على الإنفاق في سبيل الله تعالى بقوله: (كانت كريمة تكثر من الصدقة في سبيل الله، وتقوم بإعداد الطعام بنفسها للقراء الذين يقرؤون القرآن في المنزل، كما كانت تعده أيضا للعمال الأغراب الذين يعملون في حقول الأسرة، وتجهد نفسها في هذا كله وهي راضية النفس لأنها تتقرب إلى الله بهذا العمل وترجو ما عنده)[3].

إذا كانت تلك صفات وأخلاق الأم والتي حرصت على أن تغرسها في نفوس أبنائها ولا سيما ابنها الكبير سيد -رحمه الله تعالى- فليس من المستغرب أن نجد تلك الأخلاق وذلك السلوك السوي قد ارتسم في شخصيته، بل قامت على صقل تلك الشخصية الفذة التي أدت دورا مهما في

---

[1] قطب، طفل من القرية، ص٢١-٢٢

[2] قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص٥

[3] قطب، طفل من القرية، ص١٩٢

الفكر والعمل الإسلامي على حد سواء، لا سيما وأن الطفل عادة ما يكون متعلقا بأمه في بداية حياته وعلى استعداد وتحفز ليتلقى كل ما يقدم له بطريق مباشر من خلال الأمر والنهي، أو غير مباشر من خلال محاكاة السلوك والأخلاق في الحياة اليومية.

إن هذه الرعاية الحثيثة التي قامت بها الأم لم تكن لتؤتي ثمارها على أكمل وجه ما لم تؤازره عناية **الأب** الذي جاء مكملا ومساندا للعامل الأساسي للتربية في حياة الابن؛ ألا وهو (الأسرة). فقد كان والده على قدر من المعرفة، بجانب الوجاهة الريفية حيث كان عميدا للأسرة والتي كانت أيضا ظاهرة في الامتياز[1] ماديا، وكان هذا المنصب يتطلب منه الإنفاق من أجل المحافظة على مركز الأسرة المرموق، إلا أن هذا المال الموجود لم يكن ليكفي كل تلك النفقات، مما اضطره لبيع قطع من الأرض حتى بلغ به الأمر لبيع بيت العائلة، إلا أن ذلك الإنفاق لم يكن في وجه غير مشروع؛ وإنما كان على أهل بيته[2] بالإضافة إلى أهل القرية من الفقراء والمساكين[3]، والعمال الأغراب الذين يعملون في أرضه، حيث كان أجرهم زائدا عن غيرهم[4]، بجانب أجود الطعام الذي يقدم لأبناء السبيل، بالإضافة إلى ما يقدم في مواسم معينة من موائد الطعام مثل العيدين والسابع والعشرين من رجب ونصف شعبان؛ كما كان حريصا على أن تكون ختمة في بيته كل عام وكانت تعقد أربع مرات ومضمونها أن يدعى بعض قراء القرآن إلى منزله لتلاوته تبركا، بالإضافة إلى جمعهم في شهر رمضان في منزله لقراءة القرآن والإنفاق عليهم[5].

لقد كانت علاقة هذا الرجل بربه قوية متينة فقد كان حريصا على أداء الصلاة جماعة في المسجد مصطحبا معه ابنه سيدا-رحمه الله تعالى-، وكان قد أدى فريضة الحج[6]، مما يدل على قوة العقيدة والحرص على طلب رضا الله تعالى. يتحدث سيد -رحمه الله تعالى- عن أبيه وعن أثر الإيمان العميق الواقر في قلبه والمصدق في العمل، وعن أثر هذا الإيمان في نفسية سيد-رحمه الله تعالى- وشخصيته، والذي أصبح فيما بعد سمة بارزة له. يقول: (لقد طبعت في وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم الآخر في

---

[1] قطب، طفل من القرية، ص٢١

[2] قطب، طفل من القرية، ص١٢٩

[3] قطب، طفل من القرية، ص١٩٢-١٩٦

[4] قطب، طفل من القرية، ص١٩٢

[5] قطب، طفل من القرية، ص٧٥

[6] قطب، طفل من القرية، ص١٢٠

حسابك ذكراه في ضميرك وعلى لسانك ... كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردهـا لتكـون كفارة في اليوم الآخر ... وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعـام العشاء فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار، نتمتـم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات)[1].

إن هذا الحس الديني والشعور الإيماني العميق الذي امتلأت به نفس هذا الأب، كان له مـن التأثير على شخصية سيد رحمه الله تعالى- وسلوكه وأخلاقه مما يمكن ملاحظته بدقة في طفولته ورجولته، فقد كان -رحمه الله تعالى- في طفولته من الملازمين للمسجد، والمحافظين علـى أداء الصلاة في أوقاتها جماعة، ومن المقبلين على فعل الطاعات والالتزام بالخلق الإسلامي الرفيـع، كما نجد ذلك في رجولته من خلال انتقاده لتلك الأخلاق الفاسدة، وذلك الانحطاط فـي مجـالات الحياة المختلفة التي شاهدها ولمسها في (القاهرة)، ويظهر ذلك جليا من خلال تمسـكه بمبادئـه الإسلامية وثباته على الحق واستعلائه في وجه الطغيان، وعدم الانقياد أو الخضوع لكل المغريات التي قدمت له قبل أن يلقى ربه. يقول تعالى: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ))[2].

كما كان ذلك الحس الديني عند الأب، كان يرافقه ويلازمه الحس الوطني والعمل السياسـي حيث كان أحد أفراد (الحزب الوطني)[3]، وعضوا في لجنة الحزب في القريـة، ومشـتركا فـي صحيفة هذا الحزب، جاعلاً بيته موئلا سياسيا تعقد فيه الاجتماعات السياسية والوطنية، ومركـزاً تثقيفيا للجماهير، حيث كانت تقصده الجماهير لتستمع للأحاديث السياسية وقراءة هـذه الجريـدة اليومية، وكان ذلك الطفل على وعي كامل لما يحصل من حوله، حتى أنه كان يحضـر بعـض الاجتماعات، وكان يقرأ تلك الجريدة على الحضور بدلا من والده، وانتهى به الأمر لكتابة الخطب الحماسية والتي يضمنها أبياتا من الشعر ليلقيها على الملأ في المجامع والمساجد[4].

يقول سيد -رحمه الله تعالى- في ذلك: (كان منزلهم مثابة للوطنيين من رجال القرية، وفـي هذه الاجتماعات كانت تدور أحاديث يحضر بعضها الصبي سيد قطب، وبعضها كـان سـري لا

---

[1] قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، بيروت، دت، ص٥

[2] إبراهيم (٢٧)

[3] أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م

[4] قطب، طفل من القرية، ص١٤٥-١٤٦-١٤٧

يعلم عنه أحد شيئا، وكان يبدو أن هناك شعورا معينا يختمر، ويدرك أنه وهو طفل كان يتوقع في حسه شيئا غامضا لا يدري ما هو ولا كيف يقع ولكن شيئا ما سيحدث)[1]. وكانت الاجتماعات السرية التي تعقد في منزله والأبواب مغلقة والأصوات تجري همسا كانت هذه الاجتماعات تلقى في روعه هذا الشيء الغامض الذي لا يدريه.

وإذا ما قمنا بعملية إسقاط لحالة سيد قطب -رحمه الله تعالى- نلحظ أثر والديه على شخصيته وحياته، فقد تشرب واكتسب من صفاتهم وسماتهم وأخلاقهم الكثير، وكان لكل ذلك أثر بارز وصلة مباشرة بالمواقف التي وقفها في حياته، مواقف العزة والكرامة والشرف والاستعلاء على الطغيان، والثبات على الحق مهما كانت النتائج.

اقترب سيد -رحمه الله تعالى- من سن السادسة، وكما هو الحال في أي أسرة لابد أن يبدأ هذا الطفل مرحلة التعليم،[2] فتم تجهيزه وتهيئته نفسيا وماديا، فجيء له بملابس جديدة تليق به كطالب علم، وفي اليوم الأول ذهب مع والده وتم تسجيله في السنة التحضيرية[3]. وبدأ مرحلة التعليم الأساسي، وأحيط سيد -رحمه الله تعالى- بجو خاص في المدرسة من حيث العناية والاهتمام من قبل الناظر والمدرس، لما لمسوا فيه من الألمعية وانفتاح في الذهن وشدة التقبل لما يلقى إليه[4].

وفي بداية السنة الثانية (الصف الأول)، تم الاستغناء عن خدمات الشيخ الذي لم يكن يحمل شهادة علمية تؤهله للتدريس في المدرسة وتم استبداله بمعلم متخرج من كلية العلوم، وهنا بدأت الإشاعات تنتشر في القرية من أن الحكومة تحارب القرآن وتريد محوه بعدم تحفيظه للطلاب في مدارسها ..... وبدأ الناس بإخراج أبنائهم من المدرسة فرارا من الضلال وخوفا على أبنائهم، ولم يكن سيد -رحمه الله تعالى- بأوفر حظا من غيره، فقد تم إخراجه منها، ليلتحق بركب الكتّاب رغما عنه[5].

---

[1] قطب، طفل من القرية، ١٤٥-١٤٦

[2] قطب، طفل من القرية، ص٢٢

[3] قطب، طفل من القرية، ص٢٢

[4] قطب، طفل من القرية، ص٣٥-٣٦

[5] قطب، طفل من القرية، ص٣٨-٣٩

وهنا أخذ يقارن بين مدرسته الجميلة الأنيقة في كل شيء[1] المبنى النظيف الأنيق والحجرات المطلية بالجير والفناء الواسع وأواني الشرب والمقاعد الدراسية وأدوات الكتابة، وبين الكتّاب الذي لم يجد فيه ميزة تشرح النفس، سوى أنه يعنى بتحفيظ القرآن الكريم كاملا أما المدرسة فلم تكن كذلك، وقرر عدم الذهاب للكتّاب، وفكر سيد -رحمه الله تعالى- بالطريقة التي يستطيع أن ينتصر فيها للمدرسة على الكتّاب، ووصل به تفكيره إلى أن يحفظ القرآن الكريم معتمدا بذلك على نفسه، وهنا أخذ سيد -رحمه الله تعالى- بهمة عالية يجمع بين درس المدرسة وواجباتها وبين حفظ القرآن الكريم ومراجعته، فما يكاد يكتمل العام الأول حتى تمكن من حفظ ثلث القرآن حفظا جيدا أخذ يباهي به طلاب الكتّاب، وفي نهاية السنة الرابعة كان قد أتم حفظه كاملا مما أدى إلى زيادة الإعجاب به من قبل زملائه، وارتفاع قدره في أعين مدرسيه وخاصة أمه التي كانت هذه أسمى أمانيها[2].

أنهى سيد -رحمه الله تعالى- سنته الرابعة من دراسته، وبذلك يكون قد أنهى مرحلة الدراسة في القرية وكان سنه لم يصل الحادية عشر، وكان هذا السن لا يؤهله لدخوله مدرسة المعلمين وكان يتمنى أن يكون سنه أعلى من ذلك ليتمكن من الالتحاق بمدرسة المعلمين، ورأى والده أن يبقيه في مدرسته سنة أخرى، ولأن والده صاحب فضل، ولشدة حب معلميه له وإعجابهم به لاسيما وأنه حجتهم على نجاح المدرسة في تحفيظ القرآن، فقد تم إدخال اسمه في السنة الرابعة مرة أخرى على أنه مستجد وقضى بذلك عاما آخر بين جدرانها[3].

وبعد الانتهاء من هذه السنة بقي سيد -رحمه الله تعالى-سنتين أخريين في القرية، ولم يتمكن من المغادرة بسبب الثورة التي قامت سنة ١٩١٩ والتي انقطع خلالها سبل المواصلات للقاهرة[4]، إلا أن سيدا -رحمه الله تعالى- لم يكن ليتوقف عن طلب الثقافة والاكتفاء بدراسته النظامية، فأخذ يثقف نفسه بنفسه وأخذ يضيف إلى ثقافته المدرسية ثقافة خاصة اعتمد فيها على ما يصل إليه من كتب متنوعة الموضوعات عن طريق شرائها أو استعارتها من أقرانه[5]، واشتهر سيد -رحمه الله تعالى-في أواسط المثقفين بذلك وتنبأ له الجميع بالمستقبل الزاهر وقد كان .

---

[1] قطب، طفل من القرية، ص٣٨-٣٩

[2] قطب، طفل من القرية، ص٤٣

[3] قطب، طفل من القرية، ص٤٥

[4] قطب، طفل من القرية، ص٢١٧

[5] قطب، طفل من القرية، ص١٦٨

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نحدد ونستخلص مصادر ثقافة سيد -رحمه الله تعالى- في القرية، والتي ابتدأت بدراسته النظامية في المدرسة والتي تلقى فيها مختلف العلوم والمعارف من خـــلال مناهجها، ومن ثم القرآن الكريم الذي حفظه بنفسه خلال ثلاث سنوات بالإضافة إلى الثقافة الذاتية من خلال مطالعاته لكل ما تصل إليه يده من كتب متنوعة، بجانب ثقافته السياسية والتي اســتمدها من خلال عمل والده السياسي واطلاعه على الجرائد اليومية .

المبحث الثاني: هجرته إلى القاهرة

بعد أن أتم سيد -رحمه الله تعالى- المرحلة الأولى من دراسته في القرية، اضطر للبقاء فيها سنتين أخريين بسبب الثورة التي قامت سنة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطاني . وفي سنة ١٩٢١م غادر سيد -رحمه الله تعالى- مسقط رأسه متوجها للقاهرة من أجل إكمال تعليمه، برفقة أحد أقربائه، وسط هالة من الهلع والحزن من قبل أهله ووالديه بالذات .

وصل سيد -رحمه الله تعالى- القاهرة واستقر به المقام في بيت خال له كان قد تخرج في الأزهر ويعمل بالتدريس، بجانب عمله ككاتب في الصحف المصرية[1]، هناك التحق سيد -رحمه الله تعالى- بمدرسة المعلمين الأولية وكانت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، يمنح بعدها الخريج شهادة تسمى الكفاءة وتؤهل صاحبها للعمل في المدارس الحكومية .

وبقدر ما كانت الظروف تسير لصالحه في القرية، كانت في القاهرة على العكس من ذلك تماما، ويعود السبب في ذلك لأمرين **أولهما**:- تراجع الحالة المادية لأسرته في القرية، وهنا كان لزاما عليه أن يشعر بالمسؤولية التي ألقيت على كاهله. **وثانيهما**:- اختلاف الحياة التي اعتاد عليها في القرية؛ من حيث البيئة الصالحة والمحافظة ذات الأخلاق الرفيعة والتي كانت ملازمة لأهل قريته وفي الصعيد المصري بشكل عام، وهنا بدأت المقارنة ما بين البيئتين القروية والمدنية والتي وصفها سيد -رحمه الله تعالى- بقوله: (في مصر مالا يحفظ التاريخ من فحش يعج بها، وفحشا يكتم، فحش يشمل كل شيء، يشمل الضمائر والأسرار، ويشمل التصرف الشخصي اليومي للألوف والملايين، في مصر فحش من الفقر وفحش من الغنى، فحش من الحرمان وفحش من المتاع وفيها فحش من النعومة التافهة يقابلها أثرة عمياء صغيرة المطامع قريبة الأفاق، لا تعدو كلذة الحشرات والهوام)[2] .

إلا أن كل ذلك لم يكن ليمنعه -رحمه الله تعالى- من استكمال هذه المرحلة وإتمام ما جاء من أجله، فكان الاعتماد على الذات، وبما عرف عنه من العزيمة الصادقة، والهمة العالية، والتحدي والصبر، أكمل -رحمه الله تعالى- دراسته وأتم سنواته الثلاث وحصل على الشهادة وبدأ بممارسة حياته العملية، ومن ثم الاتصال المباشر بذلك المجتمع بحكم وظيفته الجديدة، إلا أن ذلك الاتصال لم يكن ليتصف بالانسجام والتوافق، بسبب ما كان يعانيه مجتمع القاهرة من فساد وفحش على كافة المستويات السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والأخلاقي .

---

[1] قطب، طفل من القرية، ص٢١٨

[2] قطب، سيد، وبلات السلم، مجلة الرسالة، يناير ١٩٤١، العدد ٣٩٤، ص٦٨

ولما كان سيد -رحمه الله تعالى- صاحب تطلعات عالية وطموح سام وحرص على الارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي، فقد التحق بمدرسة خاصة بكلية دار العلوم، ومدة الدراسة فيها سنتان، تؤهله للدخول في الكلية، وما كاد ينهيها حتى التحق بالكلية لمدة أربع سنوات، وتخرج منها وهو يحمل شهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية.

ولم يكن -رحمه الله تعالى- أثناء دراسته مجرد طالب كباقي زملائه - وكان الصورة التي كانت في القرية تعود مرة أخرى في القاهرة - بل كان ممتلأ حيوية وجرأة وصراحة وشجاعة، حيث نجد انتقاداته اللاذعة لمنهج الكلية وتقصيرها في تقديم المعارف والعلوم المختلفة للطلبة، وقام بإعداد خطة منهجية عملية لرفع مستوى التعليم في الكلية لتخريج أفواج من المتعلمين القادرين على إيصال تلك الرسالة السامية للمجتمع على أكمل وجه والمؤهلين تأهيلا جيدا في التربية وأساليبها، وتقدم بتلك الخطة لعمادة الكلية، إلا أنها لم تجد صدى أو قبولا من العمادة وبالمقابل لم تزد إلا إعجابا بشخصيته -رحمه الله تعالى- من قبل معلميه واحتراما من قبل زملائه، وكانت الخطة تقترح أن تكون المدرسة الخاصة تجهيزية تدرس بها اللغة الإنجليزية من السنة الأولى، ويتم التوسع بتدريس اللغة العربية وآدابها، وعلوم الشريعة المختلفة، فتهيئ بذلك للقسم العالي في الدراسة، على أن تستمر به دراسة اللغة الإنجليزية ويتم التوسع بدراسة علوم التربية ودراسة النقد بجانب تاريخ أدب اللغة، وتزاد سنوات الدراسة بالقسم العالي إلى ست سنوات تنتهي بتقديم رسالة من قبل الطالب، كما أكد على ضرورة أن يستقل مجلس إدارتها بتسيير نظامها، وعدم الازدواجية في الإدارة[1] .

كما عرف عن سيد -رحمه الله تعالى- أثناء دراسته بآرائه النقدية الأدبية، وكان له نتاج كبير في الشعر والمقالات الأدبية والتربوية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف اليومية، بالإضافة إلى محاضرات كان يلقيها في المنتديات الثقافية .

كما كان لسيد -رحمه الله تعالى- أثناء إقامته بالقاهرة وبالإضافة إلى كل ما تقدم دور فاعل على الصعيد السياسي والذي سنفرد له مبحثا خاصا به، كما كان له اتصال وثيق برموز الأدب والفكر في القاهرة وعلى رأسهم (العقاد)، والذي كان نقطة تحول رئيسة في حياته وفكره ومكونات ثقافته والذي ارتأيت أن نجعل له مبحثا خاصا به أيضا وذلك لأهميته .

---

[1] قطب، سيد، نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، الدار السعودية، جدة، ط٢، ١٩٦٩، ص٦٥

المبحث الثالث: رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية

لما كانت كلمة الحق التي علا صوت سيد -رحمه الله تعالى- بها ضد الملك ورجال دولتـــه، من خلال مقالاته وكتاباته التي امتازت بالانتقاد اللاذع والهجوم العنيف لنظام الحكم الفاسد، والذي أدى إلى إفساد مناحي الحياة المختلفة، كانت تلك المقالات بمثابة ناقوس للخطر أخـــذت تزلـزل أركان الحكم الفاسد القائم على غير شرع الله لا سيما وأنها كانت تجد قبولا وصدى واســعا فـــي أواسط الشعب المصري؛ دعا الملك فاروق إلى ضرورة التخلص من سيد -رحمه الله تعالى- بأي طريقة فأوعز لرئيس وزرائه مصطفى النحاس بذلك، وكان الأخير على وده القديم لسيد -رحمـــه الله تعالى- فقد كانا معا في حزب الوفد وهنا أوعز رئيس الوزراء لوزير المعارف أن يخرجـــه من البلاد، فتم تهيئة بعثة علمية له للولايات المتحدة الأمريكية ليزور الجامعات والمعاهد العلميـــة هناك ويطلع على مناهجها ليطبقها على وزارة المعارف المصرية عند عودته، ولم تكـــن لـــهذه البعثة مدة زمنية محددة وإنما تنتهي بانتهاء دراسته الميدانية[1] .

أعد سيد -رحمه الله تعالى- نفسه للسفر على مضض، وغادر مصر في أواخر سنة ١٩٤٨م بحرا، وفي أثناء رحلته ابتدأ المخطط الأمريكي لاحتوائه والإيقاع به، ومحاولة تغيـــير منهجـــه ومبادئه وأفكاره من أجل تجنيده لخدمة الأهداف الأمريكية، وكان أول مـــا بـــدأوا بـــه الإفســاد الأخلاقي وهو على متن السفينة من خلال بائعات الهوى[2]، إلا أن الله خيب مسعاهم ذلك وانتصـــر سيد -رحمه الله تعالى- أمام تلك المغريات، وراح يقيم الصلاة علـــى متـــن البـــاخرة ويدعـــوا المسلمين من ركابها لأداء صلاة الجمعة، وقام هو بأداء الخطبة وإمامة المصلين[3]. بدأ سيد-رحمه الله تعالى- بممارسة عمله الميداني في الولايات الأمريكية، وأخذ يدرس المجتمع الأمريكي دراسة فاحصة، جادة ويسجل بكل عناية واهتمام نتائج دراسته وملاحظاته، ولفـــت انتباهـــه الحضـــارة المادية التي بلغت أوجها ونضوجها، إلا أن هذه الحضارة كما يراها لا تساوي شيئا فـــي مـــيزان القيم الإنسانية، فهي في عالم الشعور والسلوك بدائية لم تفارق مدارج البشرية الأولى[1]، لا ســـيما عند مقارنتها بالحضارة الإسلامية التي جمعت بين التطوير البشري والتطور الحضاري والســـمو

---

[1] الخياص، عبدالله، سيد قطب الأديب الناقد، مكتبة المنار، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٣م، ص١٠٠

[2] للاستزادة انظر: الخالدي، الشهيد الحي، ص١٢٦-١٣١ ، وانظر: الخالدي، صلاح، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط٢ ١٩٨٦م، ص٢٥-٢٩

[3] قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٣، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م، ص١٧٨٦

بالنفس البشرية والسلوك والأخلاق والمشاعر، وحكمت العالم المعروف في عهدها ما يقارب ربع قرن من الزمن تحت ظل النظام الإسلامي.

وكثيرا ما كان سيد -رحمه الله تعالى- يهاجم تلك الحضارة ويبرز مآسيها وأمراضها، ويبين بالمقابل ما في الإسلام من خير يقول: (بعض هؤلاء الأمريكيين كانوا يواجهوننا نحن المنتسبين للإسلام، وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير ... وكنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة أو أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية ... وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية وهي حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض في ضوء الإسلام)[٢].

وهكذا كان سفر سيد -رحمه الله تعالى- إلى أمريكا بمثابة تأكيد وإيضاح لأهمية النظام الإسلامي وضرورته للحياة، من خلال رؤية واقعية للمجتمع الأمريكي في سلبياته وقصور نظامه؛ هذا بالإضافة إلى أنها كانت فترة هدوء واستقرار ومراجعة للنفس أدت إلى الالتزام العملي بالنظام الإسلامي بعيداً عن اضطرابات الحياة المصرية، وأصبح -رحمه الله تعالى- معول هدم لذلك النظام المريض والفاسد، بدل أن يكون داعية وأداة طيعة لأمريكا .

---

[١] مجلة الرسالة-العدد٩٦١، ٣/ديسمبر ١٩٥١م ص١٣٥٧

[٢] قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٧٩م، ص٢١٥ -٢١٦

المبحث الرابع: التزامه بالفكر والعمل الإسلامي

عاد سيد -رحمه الله تعالى- من رحلته عام ١٩٥٠م ليلتحق بعمله في وزارة المعارف بالقاهرة كمراقب مساعد بمكتب الوزير، وتقدم بعدة مقترحات لإصلاح جهاز الوزارة ونظام التعليم ومناهجه، إلا أنها لم تجد أذنا صاغية وقوبلت بالرفض من قبل المعنيين، حتى وصل به الأمر لتقديم استقالته، وتوجه لكتابة المقالات، يعرض فيها آراءه وتوصياته ويوضح مواطن الفساد في جهاز التعليم[١] وكيفية معالجتها، حتى كان عام ١٩٥٤م حيث تم قبول استقالته من الوزارة .

كان سيد -رحمه الله تعالى- قبل سفره قد أقبل على الدراسات الإسلامية وقد وفق في اتجاهه هذا من خلال كتابه (التصوير الفني للقرآن) ومن ثم كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، والذي قدم بإهداء ظنت السلطات المصرية أن المقصود بالإهداء هم شباب الإخوان، ولم توافق على طباعته حتى تم حذف الإهداء؛ ولذلك بعد أن عاد من رحلته، كان عدد من شباب الإخوان في استقباله مما أثار شيئا في مشاعره تجاههم، ولم يكن حتى هذه اللحظة قد انضم إليهم[٢]. إلا أنه كان قد اتصل بهم بطريق غير مباشر من خلال التقاء الأفكار والمبادئ، وذلك عندما أقرت الجماعة كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ليكون ضمن منهج التربية للأسر الإخوانية أولا، وثانيا عندما تبنت جريدة (الإخوان المسلمين) نقده لكتاب (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين؛ وعندما اتفق مع الأستاذ محمد حلمي المليناوي صاحب (دار الكتاب العربي) وعضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين على إصدار مجلة (الفكر الجديد).

ولعل من أبرز الحوادث التي لفتت انتباه سيد -رحمه الله تعالى- وفتحت عيناه على الحركة الإسلامية وجماعة الأخوان حادثتان:-

الأولى: عندما تم اغتيال الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان على أيدي رجال فاروق وبأمر من الدول الاستعمارية سنة ١٩٤٩م، وكان سيد -رحمه الله تعالى- حينئذ في أمريكا، وشاهد ما رافق ذلك الحدث من فرح وابتهاج وشماتة في أجهزة الإعلام والشارع الغربي عامة، والمنتديات التي تهتم بشؤون الشرق الأوسط وهي تهنئ بعضها بالتخلص من أخطر رجل في الشرق[٣] .

---

[١] الخالدي، الشهيد الحي، ص٩٤-٩٨

[٢] مجلة الرسالة، المجلد الأول، العدد ١٩٤٣، السنة ١٩

[٣] مجلة المجتمع عدد ١١٥ /اغسطس ١٩٧٢، ص١٠

ثانيا: الحديث الذي كان بينه وبين رجل مخابرات بريطاني، وفحوى هذا الحديث كان حـــول الأحداث السياسية في مصر، وخطورة الحركة الإسلامية على البلاد إذا استلمت دفة الحكم، وراح يعرض عليه تقارير عن حسن البنا وتحركاته[1] .

ومن هنا بدأ سيد -رحمه الله تعالى- ينظر إلى هذه الجماعة نظرة إعجاب وتقدير، وصمـــم في قرارة نفسه الانضمام لهذه الجماعة، وتوجه -رحمه الله تعالى- بنية صادقة وهمة عالية للعمل الإسلامي، وابتدأ بدراسة سيرة الشهيد البنا -رحمه الله تعالى- وقراءة رسائله ومنهجه، وعلم لماذا حورب ولماذا قتل، وانضم للحركة في عام ١٩٥١م، وكان دائم الترديد: (إن تاريخ ميلادي هـــو ١٩٥١م)[2] وكأن السنوات السابقة من عمره لا شيء .

---

[1] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٣٦.وقد أكد له الأستاذ محمد قطب هذه الحادثة

[2] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٣٨

المبحث الخامس: عمله السياسي

تأثر سيد -رحمه الله تعالى- بعمل والده السياسي الذي كان عضوا في لجنة الحزب الوطني في القرية، وتفتحت مواهبه السياسية من خلال مطالعته للجرائد اليومية وقراءتها، ثم من خلال كتابة الخطب التي يضمنها أبياتا من شعره ليلقيها على الناس في المجامع والمساجد[1]، وبعد أن غادر القرية واستقر به المقام بالقاهرة، انضم إلى حزب (الوفد)، ولعل السبب في انضمامه لهذا الحزب هو (أنه من أوائل الأحزاب نشوءا، وكان لهذا الحزب ميولا إسلامية وطنية واضحة عند نشأته)[2]، بجانب تأثره بأستاذه العقاد، بقي سيد -رحمه الله تعالى- فترة طويلة في هذا الحزب حتى كان عام ١٩٤٢م، (عندما قامت القوات البريطانية بالتدخل المباشر لصالح هذا الحزب حيث طلبت من الملك أن يكلف (مصطفى النحاس) زعيم هذا الحزب بتشكيل الوزارة وإلا فإن عليه أن يستقيل[3])، مما أثار مشاعر الأوساط في الشارع المصري، وتزعزع الثقة بهذا الحزب الذي استلم الوزارة بدعم مادي أجنبي .

انضم بعد ذلك لحزب (السعديين) وهو الحزب المنشق عن (الوفد) ومكث فيه حتى سنة ١٩٤٥، ثم ترك الأحزاب بعد ذلك واعتزلها جميعا لعدم ثقته بها، ويعلق على ذلك بقوله: (لم أعد أجد في حزب من الأحزاب ما يستحق العناء والحماسة والعمل من أجله، كلهم سواء، أولئك الرجال رجال الجيل الماضي، للجميع عقلية واحدة لا تصلح لهذا الجيل، عقلية أنصاف الحلول، كلهم نشأوا وفي قرارة نفوسهم أن إنجلترا دولة لا تقهر وأن الفقر مرض مستوطن ... هؤلاء جميعا لم يعودوا يصلحون للقيادة.....لقيادة الجيل... أعصاب منهوكة وقلوب خاوية من الإيمان الحار لشعبهم وأمتهم)[4].

إن حالة عدم الثقة هذه التي لازمت سيد -رحمه الله تعالى- لم تكن لتجعله يبتعد عن الحياة السياسية أو اعتزالها، فالمبادئ التي تربى عليها لا تزال مخطوطة في شخصه وفكره، ولذلك اتخذ أسلوب الكتابة وتحرير المقالات السياسية الساخطة على الأوضاع القائمة في مصر والبلاد العربية ونشرها في المجلات والصحف مثل الرسالة، والعالم العربي والفكر الجديد، إلا أن ذلك لم يدم طويلا فتم إغلاق عدد من الصحف مثل العالم العربي للحد من كتابات سيد -رحمه الله

---

[1] قطب، طفل من القرية، ص١٤٥-١٤٧

[2] عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص٤٠٣-٤٢٤

[3] عتيق، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٥١٥

[4] مجلة الرسالة المجلد ١٤ السنة ١٤، عدد ٦٨١، ٢٢ يوليو ١٩٤٦م، ص٧٩٦، ٧٩٧

تعالى-، فهو يقول على سبيل المثال عن دور المخابرات الأجنبية وتدخلها في تمويل وتوجيه الصحف المصرية بقوله:(إن الصحف المصرية إلا النادر القليل مؤسسات دولية لا مصرية ولا عربية مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والأمريكية والفرنسية والمصرية والعربية أخيرا،مؤسسات تحرر صفحات كاملة فيها بمعرفة أقلام المخابرات هذه لترويج دعايتها في أوساط الجماهير ،مؤسسات تخدم الرأسمالية العالمية اكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية وتخدم الاستعمار الخارجي والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة وهذا هو السر في ان الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرض على غيرها لان ورائها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية وهي كفيلة بان تساندها وتذلل لها العقبات وتفسح لها الطريق لنشر دعايتها المستوردة في أطراف البلاد العربية جميعا[1]) إلى أن تم ذهابه لأمريكا حيث تمعن هناك في الحياة السياسية، وعرف بعض مخططات أمريكا في العالم العربي وأدرك حربها الشرسة ضد الحركة الإسلامية تحديدا، وعرف خلفيات قادتها السياسية ودور الصليبية واليهودية في توجيه السياسات هناك.

وبعد عودته صار يكتب في ثلاث مجلات، -وكانت مقالاته ثورية هجومية عنيفة- وهي مجلة الدعوة والاشتراكية واللواء الجديد، وكثيرا ما كانت الرقابة تمنع صدور المجلات بسبب مقالاته .

في عام ١٩٥١م انضم سيد -رحمه الله تعالى- بشكل واضح لجماعة الإخوان المسلمين، وأسند إليه الإخوان الإشراف على مجلة (الإخوان المسلمين) وكان جديرا بهذه المهمة وقام بواجبه خير قيام[2].

ولعل من أبرز ما قام به في هذه الفترة، دعوته إلى :(ضرورة قيام كتلة إسلامية تضم الشعوب الإسلامية كافة على غرار الكتلة الرأسمالية والشيوعية، وتستقل بنفسها وتثبت ثقلها الدولي وتتحرر من سيطرة النفوذين)[3] وكتب المقالات الشارحة لهذه الدعوة، إلا أنها وأدت في مكانها ولم تجد من ينفذ.

وفي عام ١٩٥٢م قامت ثورة (الضباط الأحرار)، وكان لسيد -رحمه الله تعالى- دور بارز فيها وكان موضع تقدير واحترام من قبل رجالها اعترافا منهم بجهوده التي بذلها في التمهيد

---

[1] مجلة الرسالة،المجلد الأول،العدد١٩٤٣،السنة ١٩ ، ٣٠/يوليو/١٩٥١م، ص٨٥٤

[2] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٤٥

[3] قطب، سيد، دراسات إسلامية، دار الشروق، القاهرة،١٩٧٣م ، ص١٣٤، ص١٨٧

والتخطيط لها[1]، وكان من تقديرهم له أن عينوه مستشارا لمجلس قيادة الثورة للشـــؤون الثقافيـــة والداخلية، إلا أنه لم يستمر أكثر من عدة شهور، كما عرضوا عليه بعض المناصب الأخرى مثل وزارة المعارف والمدير العام للإذاعة، إلا أنه اعتذر عنها جميعا، وتم تعينه سكرتيرا عاما لهيئـة التحرير، ولبث فيها شهورا أيضا ثم تقدم باستقالته بسبب الخلاف الذي نشأ بينه وبين عبد الناصر وزملائه، وكان منشأ الخلاف إسلامي حيث كان سيد -رحمه الله تعالى- يستحثهم على ضـــرورة الإسراع بتطبيق الإسلام، وكانوا يراوغون في هذا الأمر، واستلم عبد الناصر منصبه ذلك[2].

وفي عام ١٩٥٣م، انتدب مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان في مصر سيدا -رحمه الله تعالى- لتمثيل الجماعة في المؤتمر الإسلامي، الذي عقد في القدس والذي شارك فيه عدد من الشخصيات والجمعيات الإسلامية، بهدف دراسة السبل لحماية القدس والحيلولة دون وقوع الأقصى في أيـدي اليهود.

ثم تم انتخاب سيدا -رحمه الله تعالى- عضوا في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان كما عيـــن رئيسا لقسم نشر الدعوة، وأصبح مسؤولا عن نشر الدعوة الإسلامية والفكرة الإخوانيـــة داخـــل مصر وخارجها[3].

وفي عام ١٩٥٤م اصطدم الإخوان مع الحكومة لأول مرة واعتقل عدد من قادتهم وكان سيد -رحمه الله تعالى- في مقدمتهم وبعد ثلاثة أشهر تم الإفراج عنهم بسبب خلاف وقع بين قـــادة الثورة.

وفي نفس العام وقع (ضباط الثورة) وثيقة الجلاء مع بريطانيا، ورأى الأخوان أنها مجحفـــة بحق مصر وأنها لن تحصل على الجلاء التام، فتم انتقادها بشدة وتولى سيد -رحمه الله تعـــالى- كتابة نشر المقالات المناهضة لهذه الوثيقة، وأصدر نشرة سياسية تفضح مخطط للقضـــاء علـــى الحركة الإسلامية وتكشف عمالة رجال الثورة، وتم إلقاء القبض عليه ونال من التعذيب الوحشـــي أشده، وقدم لمحاكمة صورية وصدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاما، وأثناء مـــدة سـجنه ساءت حالته الصحية فتم نقله إلى مستشفى السجن وبقي فيه مدة طويلة، هيأ الله تعالى له ظـروف الكتابة، وتمكن من خلالها أن يقدم للمكتبة الإسلامية أعمق بحوثه ولعل من أهمها تفســـير (فـي ظلال القرآن) و (هذا الدين) و (المستقبل لهذا الدين)[4].

---

[1] العباس، عبدالله، سيد قطب الأديب الناقد، عمان، الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٣، ص ٤٣

[2] بركات، سيد قطب خلاصة حياته، دار الدعوة، بيروت، د.ت، ص١٢

[3] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٤٢-١٤٣

[4] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٤٥-١٤٩

ولم يقتصر على الكتابة فقط، بل أخذ يجدد اتصالاته بالإخوان داخل السجن و خارجه، وتمكن من إنشاء أرقى أشكال التنظيم الإسلامي سرية وفاعلية في مصر[1].

وفي أواخر عام ١٩٦٤م، تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف للإفراج عن سيد -رحمه الله تعالى- وبذل جهده حتى أفرج عنه بعد أن أمضى ما يزيد على عشر سنين في السجن[2].

وقد عرف سيد -رحمه الله تعالى- بتحليلاته السياسية والتي اتسمت بالمنطقية والوضوح وتكشف مدى وعيه العميق للأحداث السياسية، فمثلا يقول عن الدور الأمريكي والصهيوني في المنطقة العربية: (إن الشيوعية لا يمكن أن تنتصر على الطريق الديمقراطي، لأنه ليس لها جذور في السودان ولكن الخطر أن يلجأ الشيوعيون إلى نظام حكم شيوعي بالقوة، فالخطر في الجيش ولكن حتى إذا أفلح الجيش بالانقلاب ووصل الشيوعيون إلى الحكم وأقاموا نظامهم فإنه لن يستمر طويلا، لأن الأمريكان حريصون على ألا يقوم في الشرق العربي نظام شيوعي، وهم أصحاب النفوذ في هذه المنطقة؛ فمثلا سوريا كادت أن تصبح شيوعية، فدبروا لها الوحدة مع مصر، بالرغم من أنها تنافي المخطط الصهيوني في المنطقة العربية، وتمت الوحدة لغرض معين وهو القضاء على الشيوعية، وانتهت بمجرد أدائها الغرض ...) (إن الخطر الحقيقي هو خطر الصهيونية والأمريكان، وهم الذين يبسطون نفوذهم على منطقة الشرق)[3].

وبهذا التحليل السياسي الرائع ،كشف سيد عن وعيه العميق لأحداث المنطقة وعن رؤيته الصادقة لحقيقة القوى التي تخطط لها .

---

[1] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٤٨

[2] بركات،سيد قطب خلاصة حياته ص٢٠

[3] الشهيد سيد قطب،بقلم طائفة من الكتاب ،نشر جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب د.ت ص٩١،٩٢ /نقلا عن جريدة الميثاق الإسلامي في السودان عدد٣٢٤ ،بتاريخ١٦/٩/١٩٦٦م

المبحث السادس: استشهاده

بعد أن تم الإفراج عن سيد -رحمه الله تعالى- أواخر سنة ١٩٦٤م، لم يكن ليركن للراحة أو التوقف عن العمل الإسلامي، وكأنما كانت محنته الأولى دافعا له لمضاعفة الجهد، وزيادة للتمسك بمبادئه وقوة إيمانه باعتقاده، فأخذ يعد البحوث العميقة في الدراسات الإسلامية، بجانب الإشراف على التنظيم الذي أنشأه داخل السجن، وجعل منزله مثابة للشباب المسلم من داخل مصر وخارجها، يعقد فيه اللقاءات ويزود القادمين بنصائحه وتوجيهاته ويطلعهم على تجاربه[١] .

وفي عام ١٩٦٥ أعلنت الحكومة المصرية عن اكتشافها لمؤامرة دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب -رحمه الله تعالى- للاستيلاء على الحكم بالقوة وتدمير اقتصاد البلاد واغتيال رجال الدولة، ونشطت الأجهزة الأمنية في إلقاء القبض على أفراد الجماعة وزجهم في السجون، وأقيمت لهم وسائل شتى من ألوان التعذيب الوحشي، وكان نصيب سيد -رحمه الله تعالى- من التعذيب أكثره وكان معه شقيقه وأخواته الثلاثة وأبناء أخته الكبرى، وقدم -رحمه الله تعالى- لمحاكمة صورية ، دون أن تقدم الحكومة دليلا واحدا على إدانته سوى (معالم في الطريق) على تهمتها له بالإرهاب[٢]؛ وصدر عليه حكم الإعدام مع عدد من قادة الإخوان، وبذل بعض المسؤولين في الدول العربية والإسلامية وساطة لدى عبد الناصر لتخفيف الحكم عنه، وقامت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية الداعية إلى فسخ قرار المحكمة، إلا أن كل ذلك لم يكن ليجدي نفعا.

وفي أثناء سجنه تعرض -رحمه الله تعالى- لوسائل شتى من الإغراءات، منها أنه إذا تقدم بكتابة أسطر يعتذر فيها لرئيس الجمهورية، فإنه سيطلق سراحه ويعيد إليه اعتباره ويوليه وزارة التربية والتعليم[٣]، إلا أنه استعلى عن ذلك وأطلق من سجنه عبارات أصبحت نبراسا ونورا يهتدي بها كل من وفقه الله تعالى للعمل في طريق الدعوة ومن هذه العبارات الخالدة:-

إجابته على سؤال أحد إخوانه: لماذا كنت صريحا في المحكمة التي تملك عنقك؟ قال: (لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرخص).

---

[١] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٥٠

[٢] الرواشدة، حسين، في ذكرى استشهاد سيد قطب، جريدة اللواء، عمان، الأردن، العدد ١٣٦٨، السنة الثامنة والعشرون، ٢٥ آب ١٩٩٩م

[٣] لمعرفة هذه الاغراءات والوقوف عليها، الخالدي، الشهيد الحي، ص١٥٣-١٥٥وانظر الخالدي سيد قطب من الميلاد للاستشهاد ص٣١٠

وقال: (إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقربه حكم طاغية)[1].

وفي صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٦٦/٨/٢٩م، تم تنفيذ حكم الإعدام ، لا بسبب إلا أنه يقول ربي الله بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. وبذلك انتهت حياة هذا الشهيد على الأرض ليبقى حيا في أفكاره وإرادته وهمته من خلال الأجيال التي تربت على كتاباته واقتدت بسلوكه ونشاطه ومبتدأ حياته الباقية عند ربه.

---

[1] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٥٤.

المطلب الثالث: ثقافته ومميزاته الكتابية

المبحث الأول: تعليمه و مكونات ثقافته

بعد أن غادر إلى القاهرة، التحق بمدرسة المعلمين الأولية ثم تجهيزية دار العلوم، وبعدها كلية دار العلوم، وفي هذه المؤسسات التعليمية تلقى الكثير من العلوم المختلفة، منها اللغة العربية بمجالاتها الواسعة، وعلوم الدين بأقسامه والعلوم الطبيعية ومناهج التربية وأساليبها، وبذلك خرج سيد -رحمه الله تعالى- إلى الحياة العملية مزودا بثقافته الواسعة التي حصلها في مراحل دراسته المختلفة، والتي نماها بمطالعته الذاتية والخارجية، حتى أصبح أديبا يكتب على صفحات الجرائد، وناقدا أدبيا شهد له أساتذته بذلك.

وكما هو الحال في طلاب العلم الجادين، فقد تأثر سيد -رحمه الله تعالى- بأستاذه (عباس العقاد) وبكتاباته، ووجد في مكتبته ضالته المنشودة، ففيها من المعارف المختلفة ما يشبع نهمه الفكري، ولما وجد العقاد في تلميذه تلك الألمعية والذكاء والحرص على المعرفة، قام بدعمه فكريا ومعنويا في بداية حياته العملية، وأغراه لدراسة الفكر الغربي الذي كان العقاد متأثرا به[1]، وكانت هذه المرحلة من حياة سيد -رحمه الله تعالى- ذات تأثير كبير في فكره وعقيدته، فقد تسببت له بمرحلة من القلق والشك والضياع، وقطعت كل وشيجة بينه وبين ثقافته الدينية الأولى، ومر بمرحلة من الارتياب في الحقائق الدينية وكانت هذه المرحلة هي الأطول في حياة سيد -رحمه الله تعالى-، ولعل المسؤول عنها العقاد نفسه الذي وجهه تلك الوجهة، وفتح له الباب على مصراعيه لينهل من الفكر الغربي كيفما شاء.

وقد وصفت تلك الثقافة وأثرها على من تبعها بأنها: (تتميز بالسير نحو الفردية وتنمية الاستقلال الفكري والنفسي وإيجاد قيم خاصة والخروج على القيم السائدة، ولذلك فإن الذي ينهل منها بغير ميزان ثابت يتيه في مجاهلها ويضيع في تيار ضلالها)[2].

---

[1] الخالدي، الشهيد الحي، ص٩٩-١٠٦، بتصرف

[2] بركات، سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه، ص١٢

وهكذا أصبح حال سيد -رحمه الله تعالى- فأخذ يسير في مجاهل وظلمات تلك الثقافة الغربية، التي تصل بصاحبها إلى طريق العدمية، وعدم وجود غاية أو هدف في هذه الحياة. حتى قضى الله أمرا آخر ونقل خطاه إلى طريق آخر ووجهه وجهة أخرى، فقد تحول لدراسة القرآن الكريم مقتديا بالعقاد والذي بدأها (بالعبقريات)، إلا أن وجه الخلاف هو اتجاه سيد -رحمه الله تعالى-لدراسة القرآن لدواع أدبية بحتة، ولم يكن يهدف لإخراج القيم والسلوك الإسلامي من خلاله، وقد وفق في ذلك وأصدر كتابه (التصوير الفني في القرآن)، وقد وجد ترحيبا كبيرا في الأواسط الأدبية والعلمية، وكان اتصاله هذا بالقرآن سبيلا للتخلص من الرواسب التي تركتها الثقافة الغربية في نفسه، واستقرار حقيقة الإيمان في قلبه ووجهت مشاعره وفكره وسلوكه، وأخذ يصحح كل ذلك على أساس هذه الحقيقة وأقبل على الثقافة الإسلامية ينهل منها ويكيف حياته الجديدة في ظلال القرآن، ودخل سيد -رحمه الله تعالى- بذلك عالم الفكر والعمل الإسلامي بعد أن اتسعت آفاقه وازدادت ثقافته، ولم يكن اتجاهه للعمل الإسلامي بين عشية وضحاها وإنما توجه إليه تدريجيا وعلى مراحل وهي:-

١. نشأ على تقاليد الإسلام في بيئته الأولى.
٢. انتقل إلى القاهرة فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية.
٣. مر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى الحدود.
٤. أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية، فأثر فيه وتدرج به للإيمان[١].

[١] الندوي، أبو الحسن، مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م، ص١٨٩

المبحث الثاني: سماته الكتابية

تتلمذ سيد -رحمه الله تعالى- في مدرسة العقاد الأدبية، وتميزت هذه المدرسة بظاهرة التجديد والخروج عما كان مألوفا من الأساليب القديمة، والتي كانت تعتمد على الزخرفة اللفظية والمبالغة فيها على حساب المعنى والفكرة، ولما كان أسلوب الكاتب انعكاس لملامح خصائصه الفكرية، فإننا نلحظ ونستخلص أهم سماته الفكرية من خلال كتاباته ولعل من أهمها ما يلي:-

١. . **الوضوح والبساطة:-**

ويكمن هذا الوضوح وتلك البساطة في التركيب وفي المعنى، ولعل مرد هذا الوضوح يتجلى بأمرين: **أولهما:-** وضوح الفكرة في ذهنه من خلال معايشتها والتفكير المستمر بها، **وثانيهما:-** إلى طبيعة الموضوعات التي بحث فيها سواء كان منها الموضوعات الأدبية أو الدينية، والتي كان يهدف منها تجلية الصورة للشباب المؤمن لفهم الإسلام فهما صحيحا، خصوصا وأنه ناتج تجربة خاضها بنفسه[١].

٢. **الخيال والتصوير:-**

ولعل هذه السمة قد أفادها من خلال حفظه للقرآن الكريم ومطالعته له، بالإضافة إلى عمله بفنون الأدب العربي كالشعر والنقد، ويظهرذلك جليا من خلال نظريته في كتابه (التصوير الفني في القرآن)، فراح بذلك يسير على نهج القرآن ويترسم طريقته في التعبير والعرض[٢].

٣. **التكرار:-**

وهذه السمة وإن عدها بعض النقاد سلبية في كتاباته إلا أنها على العكس من ذلك، فتكراره لم يكن في الأفكار وإنما في الأسلوب وطريقة العرض وبسط هذه الأفكار، ولعل السبب الرئيس في تكراره ذلك هو الترابط الوثيق في كليات الفكرة الإسلامية وجزيئاتها ترابطا يزعم الباحث على التطرق لكل ما يجاور مبحثه المطروق[٣].

---

[١] الخالدي، الشهيد الحي، ص١٨٧ / فضل الله، مع سيد قطب، ص٦٦، بتصرف

[٢] الخالدي، الشهيد الحي، ص ١٨٧ / فضل الله، مع سيد قطب، ص٦٦-٦٧، بتصرف

[٣] فضل الله، مع سيد قطب، ص٦٧، انظر حاشية الصفحة

٤. المبادأة والحدة :-

ومرد هذه السمة هي الثقة بالنفس لدرجة كبيرة، والتي اكتسبها من صغره، ونمت معه عندما أصبح أدبيا يخوض المعارك الأدبية على صفحات الجرائد والمجلات، وبعد أن توجه للفكر الإسلامي تم صقل هذه السمة، ولم يخرج بها إلى حد المهاترات أو السباب أو الإسفاف في استخدام الهجوم، وحقيقة نستطيع أن نقول وبكل صراحة أنه تمكن من الخروج من مرحلة الدفاع عن الإسلام على استحياء إلى مرحلة الهجوم المباشر، ولعل في كتاباته التي نشرها وهو في أمريكا خير دليل على ذلك[1].

[1] الخالدي، الشهيد الحي، ص ١٨٨، بتصرف وشيء من التقديم والتأخير

المبحث الثالث: مؤلفاته

ترك سيد -رحمه الله تعالى- تراثا أدبيا وفكريا كبيرا في مختلف الموضوعات:- التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وقد عرفت مؤلفاته انتشارا واسعا في العالم العربي والإسلامي، وقد تمثل هذا الإرث في كتاباته للمقالات في مختلف المجلات والجرائد، ومن تأليفه للكتب ونشرها، وحقيقة إن كثيرا من التراث الفكري الذي ضمته صفحات الجرائد والمجلات لا تزال مجموعة منها مجهولة، حيث وضعت على أرفف المكتبات ودور الكتب، وهي بحاجة لمن ينفض عنها الغبار ويخرجها إلى النور، وإن كانت مثل هذه المحاولات بحاجة إلى كثير من الصبر والمثابرة، إلا أنها إذا تمت فسيكون فيها إضافة جديدة لسجل الأدب والثقافة، وكشفا لصفحات مجهولة من حياة هذا الرجل وإظهارا لبعض مواهبه.

وفيما يأتي سيتم الحديث حول كتب الشهيد رحمه الله تعالى المطبوعة حسب صدورها في طبعاتها الأولى للوقوف على تطور فكره ومظاهر هذا التطور فكما هو متعارف عليه أن سيدا كان يراجع فكره ورأيه ويعيد تشكيل مقرراته على أساس معلوماته الجديدة التي حصلها من بحثه العلمي الدؤوب فإذا لم نعرف ترتيب كتبه وإذا لم نصنفها على أساس صدورها فقد ننسب له رأيا قد تخلى عنه وبذلك يلحق الحيف بفكر وشخص الرجل.

قرر سيد أن يبدأ بتأليف الكتب ونشرها وهو في سن متقدمة وذلك بعد أن آنس من فكره رشدا فهذا هو يقول سبب تأخره في النشر(..... ثم جاء دوري ..جاء دوري في أن انشر كتبا بعد أن كنت انشر بحوثا ومقالات وقصائد لقد جاء دوري في نشر الكتب متأخرا جدا لأنني آثرت الا اطلع المئذنة بغير سلم وان أتريث في نشر كتب مسجلة حتى احس شيئا من النضج الحقيقي يسمح لي أن اظهر في أسواق الناشرين)[1].

١. مهمة الشاعر في الحياة:-

أعده في الأصل محاضرة نقدية ألقاها في مدرج كلية العلوم عندما كان طالبا في السنة الثالثة فيها ، وقدمه إلىُ الحضور أستاذه محمد مهدي علام كما قدم الكتاب نفسه عندما دفعه إلى المطبعة وقد أثنى أستاذه علام عليه وبين اعتزازه بان يكون أستاذا له وقرر بأنه لو لم يكن له تلميذ إلا سيدا لكفاه ذلك سرورا كما بين أستاذه في التقديم إعجابه بجرأة سيد الرشيدة واستقلاله بالرأي وعصبيته البصيرة واعتبره مفخرة من مفاخر كلية دار العلوم.[2]

١
مجلة الثقافة ،السنة الثالثة عشر العدد٦٦٣ بتاريخ ١٩٥١/١٢/١٠ ص٨

٢
انظر تقديم محمد علام مهدي للكتاب،ص١٠،٩

وقال سيد في تقديمه للكتاب:(هذا مجهود ضئيل الحجم اعد ليكون محاضرة فحسب فلا يحتاج إلى مقدمة تبين أغراضه وتوضح اتجاهه فهو ذاته يصح ان يكون مقدمة لمبحث كامل في موضوعه هذا "مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر" وسيكون)[1] .

وهو أول مؤلف لسيد، وفيه يبين مهمة الشاعر في الحياة ومكانة الشعر بين الفنون الإنسانية الأخرى، وتحدث عن الخيال في الشعر وعن ذوق الشاعر، وأثر البيئة في الذوق والخيال، وتطرق إلى الحديث عن التعبيرات الشعرية والفرق بينها وبين التعبيرات النثرية، وختم حديثه عن علاقة العصر الذي يعيش فيه الشاعر وملامح شخصيته[2].وكون أول مؤلفاته كتابا في النقد الأدبي له دلالة خاصة على تفتح مواهبه النقدية مبكرا.

٢. نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر:-

وهو عبارة عن تفنيد لآراء (طه حسين) من وجهة نظر تربوية وتعليمية، وكان هذا النقد عبارة عن مقالات صحفية مسلسلة، تبنته جريدة (الأخوان المسلمون)، ونشرته على صفحاتها، ثم قام سيد بجمع هذه المقالات ووضعها في كتاب، وكان سيد في نقده ملتزما بآداب الناقد وأخلاق الباحث، كما أنه لم يكن معارضا لكل آراء (طه حسين)، بل كان متفقا معه في نقاط وفي ذلك يقول: (وفي الكتاب ما نوافق الدكتور فيه أشد الموافقة، وفيه ما نخالفه فيه أشد المخالفة، ومنه ما يحتمل الأخذ والرد والزيادة والنقصان ...)[3]،وكان منطلق سيد رحمه الله تعالى لنقده لهذا الكتاب من منطلق أدبي ونقدي وثقافي وتعليمي ولذلك قبل بعض آراءه ورفض بعضها ولم يكن من منطلق إسلامي لأنه لم يكن لسيد في ذلك الوقت اتجاه إسلامي محدد .

٣. التصوير الفني في القرآن:-

وهو أول مؤلف إسلامي له والذي اعتبره سيد أساسا لمشروع علمي أدبي اسماه مكتبة القرآن الجديدة أراد منه تقديم دراسة أدبية بيانية للقران الكريم.وهذا الكتاب يقوم على تفصيل وبيان لحقيقة التصوير الفني في القران والتي لاحظها في التعبير القرآني المعجز.

---

[1] قطب،مهمة الشاعر في الحياة ،ص٨

[2] قطب، مهمة الشاعر في الحياة ص٩

[3] قطب، نقد كتاب مستقبل الثقافة، ص٦

ويتحدث فيه الشهيد عن علاقته مع القرآن وكيفية تذوقه للإعجاز القرآني من الناحية البيانية اللغوية، ثم ينتقل للحديث حول التصوير الفني فيتحدث عن التخييل الحسي والتجسيم والتناسق الفني، ويتطرق إلى الحديث عن القصة في القرآن، فيتحدث عن أغراضها وآثار خضوع القصة للغرض الديني، والخصائص الفنية للقصة ورسم الشخصيات في القصة؛ ولخص الشهيد الأساس الذي قام عليه بحثه بقوله: (إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب، القاعدة الأساسية المنبثقة في جميع الأغراض -عدا أغراض التشريع- فليس البحث أذن عن صور تجمع وترتب ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز وعلى هذا الأساس قام هذا البحث)[1].

٤. **الأطياف الأربعة:-**

وهو كتاب اشترك فيه سيد مع أختيه حميدة وأمينة وأخيه محمد حيث أسهم كل منهم في فصل من فصول الكتاب، ابتدأت به حميدة بسرد قصتها (غربة) ثم بمجموعة من خواطرها وتأملاتها، وفي الفصل الثاني تبعتها أمينة، التي أسهمت بعدد من القصص، ثم (محمد) وختم سيد -رحمه الله تعالى- الكتاب بعدد من مقالاته الأدبية الفنية، وتم إهداء هذا الكتاب إلى والدتهم، وهذا الكتاب مليء بالمشاعر السامية، واللباقة الأدبية المتميزة والصور الفنية الجميلة.

٥. **طفل من القرية:-**

وهو تسجيل لسيرته الذاتية لحياته الأولى وقام بإهدائه إلى الدكتور طه حسين حيث كان معجبا بكتابه الأيام ،وبكتاب توفيق الحكيم يوميات نائب في الأرياف.

وفيه سجل سيد -رحمه الله تعالى- حياته في القرية وكأنه يصورها تصويرا حيا ، وتحدث فيه عن بيئة القرية، وعن أسرته وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية، كما تحدث عن المدرسة ومعلميها، والعلاقات الاجتماعية في القرية، كما أوضح المستوى الديني لأهلها، وتحدث عن العمال الذين قدموا إليها للعمل فيها،وهو في الكلام عن حياته في القرية لم يرتب الحوادث ترتيبا تاريخيا وانما اتبع الطريقة التصويرية فكان بهذا اقرب إلى الرسام المصور منه الى الكاتب المؤرخ ويعد هذا الكتاب السيرة الذاتية لحياته الأولى، والذي يمكّن الباحث من التعرف على حياة سيد -رحمه الله تعالى- وشخصيته وأثر القرية فيها.يقول في المقدمة:(هذه

---

[1] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص١٠

صور من حياة القرية عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان لم انمق فيها شيئا ولم اصنع اكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس)[1]

٦. **كتب وشخصيات:-**

وفيه تم تقسيم الكتاب إلى فصول ستة، كل فصل عني بدراسة موضوع مستقل عن الأخر في عالم المعرفة و الآداب الإنسانية، ففي **القسم الأول:** تحدث عن النقد والفن وأصول النقد، **والقسم الثاني:** كان في عالم الشعر وتطرق فيه إلى (العقاد الشاعر) وقام بنقد بعض آرائه، وخالف أستاذه مخالفة صريحة في آرائه، **والقسم الثالث:** (في عالم القصة والرواية) وتناول فيه الكثير من القصص والروايات الأدبية بالشرح والتحليل، **والقسم الرابع:** خصصه لكتب الدراسات النفسية والإنسانية، **والقسم الخامس:** في البحوث والدراسات العامة، **والقسم السادس:** في التراجم والشخصيات والتاريخ.

وقد أهدى كتابه هذا إلى (الملأ من الأدباء والشعراء والقصاص والباحثين الذين أوحوا إلي بهذه الفصول،نقدا لأعمالهم الأدبية)[2]، وعلل سبب التسمية بقوله:(لأنني حاولت أن أصور شخصية كل أديب تناولت أحد كتبه بالنقد فالكتاب وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان..[3]). ومن ميزات هذا الكتاب أنه كان يتناول شخصية الأديب بجانب كتابه .

٧. **مشاهد القيامة في القرآن:-**

وهو الكتاب الثاني من مكتبة القران الجديدة التي كان ينوي إصدارها ،وهو متمم ومكمل لكتابه القرآني الأول(التصوير الفني في القران) إذ هو شرح وبيان للتصوير في أفق من آفاق التعبير القرآني وهو(مشاهد القيامة) ،وعلل إفراد مشاهد القيامة بكتاب خاص بقوله:(ومشاهد القيامة هي اكثر المشاهد تنوعا في القران حتى هممت أن افرد لها مبحثا خاصا،لولا تضخم الكتاب[4]). ومشاهد القران التي عرضها هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد (وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع أما المواضيع التي ورد فيها ذكر اليوم الأخر مجردا أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار أو ذكر العذاب الأليم أو المهين فلم أتعرض لها وهي كثيرة جدا فلا تكاد

---

١ قطب،سيد،طفل من القرية،ص٥

٢ قطب،سيد،كتب وشخصيات،ص٣

٣ المرجع السابق،ص٥

٤ قطب ،سيد،التصوير الفني في القران،ص١١١

سورة واحدة من سور القران تخلوا من ذكر اشارة او تلميح ..وكذلك اغفلت القليل من المشاهد القصيرة[1]).

وفيه استعرض مائة وخمسين مشهدا، موزعة في ثمانين سورة من سور القرآن ،وقد خصص الفصل الأول من المشاهد للحديث عن العالم الأخر في الضمير البشري، حيث استعرض فيه هذه الفكرة استعراضا سريعا عند الوثنيات والجاهليات القديمة وعند اليهودية والنصرانية، وخص العالم الآخر في القرآن بفصل مستقل تحدث فيه عن سمات هذا العالم كما وردت في القرآن، وكانت طريقته في استعراض المشاهد (الطريق الاستعراضي مراعيا الترتيب التاريخي على قدر الإمكان لورودها فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها ورتبت هذه السور حسب نزولها وذلك عمل تقريبي لا جزم فيه..[2]) وقد عدل عن هذه الطريقة في تفسير الظلال.

٨. **النقد الأدبي أصوله ومناهجه:-**

وهو الكتاب النقدي الرابع والأخير له، وقد أهداه إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني:(روح الإمام عبد القاهر ،أول ناقد عربي أقام النقد الأدبي على أسس علمية نظرية ولم يطمس بذلك روحه الأدبية الفنية[3]). وفيه أرسى سيد -رحمه الله تعالى- دعائم مدرسة أدبية جديدة في النقد الأدبي والشعر والفن تقوم على أساس نظرية الصور والظلال وكان متوقعا ان يدعمها بالمزيد من دراساته ونظراته وتحليلاته،لولا انه انصرف إلى الفكر الإسلامي .

و قسم كتابه إلى قسمين:-

خصص الأول: للحديث عن النقد الأدبي وأصوله والعلاقة بين القيم التعبيرية عن الألفاظ وكيفية دلالتها على المعاني، كما بين كيفية استخدام الأديب الناجح للألفاظ، وانطلق بعد ذلك للحديث عن فنون العمل الأدبي كالشعر والقصة والسيرة والخاطرة والمقالة ... .

وفي **القسم الثاني:** تحدث حول مناهج النقد الأدبي التاريخي والنفسي والمتكامل، وتحدث عن قواعد كل منهج، ودعا الى الأخذ بالمنهج المتكامل لأنه يجمع حسنات المناهج الثلاثة كلها، ويتلافى المآخذ التي عليها[4].

---

١ قطب،مشاهد القيامة في القرآن،ص٨

٢ قطب،المرجع السابق،ص٨

٣ قطب،النقد الادبي،ص٣

٤ الخالدي،سيد قطب،ص٢٣٨،٢٤١

٩. **العدالة الاجتماعية في الإسلام:-**

وهو أول مؤلفاته في الفكر الإسلامي وقد أنهى كتابته قبل سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية .فبعد احتكاكه الأدبي والبياني مع القران الكريم من خلال كتابيه التصوير الفني ومشاهد القيامة فوجئ بوجود قواعد ومناهج في هذا القران ،تصلح أساسا لإنشاء مجتمعات فنظر فيها ودرسها وقدمها للناس.وقد اختار ميدان الإصلاح الاجتماعي ليكتب فيه ويبين منهج القران في إقرار العدالة الاجتماعية ،ولعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عايشها في مجتمعه وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية من ظهور الطبقات والفوارق الاجتماعية بين الأفراد بصورة حادة ونشاط الحركة الشيوعية الاشتراكية في أوساط المعدمين والمحرومين دعاه إلى محاولة القيام بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي ،فأمعن النظر في القران وفي آياته التي يدعو إلى الإصلاح الاقتصادي والأخلاقي والسياسي وسجل ما توصل إليه من إيحاءات.

وهو أول من أطلق هذا المصطلح (العدالة الاجتماعية) والذي استبدل به كثير من الباحثين مصطلح (الاشتراكية).

وفيه أظهر سيد -رحمه الله تعالى- الفرق بين النظرة المسيحية ونظرة الإسلام للدين والمجتمع وركز على البعد الاجتماعي للإسلام ،ثم تحدث عن طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام وأنها تقوم على أسس ثلاثة: **الأول: التحرر الوجداني المطلق، والثاني: المساواة الإنسانية الكاملة والثالث: التكافل الاجتماعي الوثيق** ،وتحدث عن وسائل الإسلام في تحقيق عدالته الاجتماعية وان مجملها في **وسيلتين هما: التشريع والتوجيه**. وهاجم من خلاله المظاهر الاجتماعية الشائعة، وبين أن العدالة الاجتماعية الصحيحة الصادقة ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين، وإنما هي واضحة في الإسلام وأن الإسلام وحده هو طريق الخلاص مما يعانون من ظلم اجتماعي وفقر اقتصادي.

وفي هذا الكتاب تظهر بعض أفكاره الإسلامية الحركية من خلال دعوته إلى بعث إسلامي جديد واستئناف للحياة الإسلامية على أساس مبادئ الإسلام موجها دعوته هذه إلى فئة الشباب الذين يلمحهم[1] والذي ابتدأ كتابه هذا بإهدائه لهم.

---

[1] قطب،العدالة الاجتماعية في الاسلام،ص٢

١٠. معركة الإسلام والرأسمالية:-

وهو أول كتاب له ينشره بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية، ويظهر هذا الكتاب كأنه معركة طاحنة بين النظام الإسلامي والرأسمالية، وفي الكتاب نجد أن السيد -رحمه الله تعالى- كان يتخذ أسلوب المبادأة والجرأة والخروج من مرحلة الدفاع عن استحياء إلى مرحلة الهجوم والبلاغ والإنذار، ويتحدث في الكتاب عن أن الإسلام وحده هو القادر على القضاء على كافة المشكلات الاجتماعية، وإيجاد الحلول المناسبة إذا استلم دفة الحكم والقيادة والتوجيه، كما عالج في فصل كامل بعض الشبهات حول حكم الإسلام، وكشف في فصل آخر عن العداوات القائمة حول الإسلام وحكمه، وبين بواعث هذه العداوات وخفاياها وخطرها واستعرض أهم أصحابها.

١١. السلام العالمي والإسلام:-

وفي هذا الكتاب لا يرفع سيد قطب السلام شعارا، بل يلقي عليه الضوء على اعتبار أنه مطلب وحاجة من حاجات الفطرة الإنسانية السليمة، كما قام بالموازنة بين الاضطراب والقلق العالمي وبين السلام الذي يحققه الإسلام للبشرية (المنكودة)، وأظهر ملامح هذا السلام في الإسلام، حيث تحدث عن أثر العقيدة ووظيفتها وتحدث عن سلام الفرد مع نفسه وضميره، وسلام البيت والمجتمع والدولة والسلام الدولي، وأن كل ذلك لا يتحقق إلا بالإسلام، كما أوضح التكتلات المستفيدة من الحروب، وهدفها من ذلك هو حجب نور الإسلام عن العالم، كما قام بالتفريق بين الإسلام الذي يدعوا إليه الإسلام وبين الاستسلام والذل والخضوع .

١٢. في ظلال القرآن:-

من اشهر كتب سيد قطب رحمه الله تعالى وهو تفسير للقرآن الكريم كاملا، ويقع في ستة أجزاء كبيرة، وفي الحقيقة فإن (الظلال) ليس تفسيرا بالمعنى التقليدي وإنما هو موسوعة تعوض فيها -رحمه الله تعالى- لكل فنون المعرفة والثقافة على ضوء الإسلام، ولمناهج الحياة في الإسلام، السياسية والاجتماعية والأخلاقية والحركية والتربوية والاقتصادية والثقافية، وبجانب ذلك كله: (فقد أودع تفسيره خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان)[١]، وعندما يتحدث فإنه يتحدث عن حقيقة لمسها وحياة عاشها، وحلاوة تذوقها ونعمة أحس بها، ويعد الظلال من اكثر الكتب الاسلامية انتشارا في هذا القرن[٢].

---

[١] قطب، في ظلال القرآن، تقديم محمد قطب، ج١، ص٣

[٢] انظر :الخالدي،صلاح عبد الفتاح،مدخل الى ظلال القرآن،ص١٠، ٥٥

١٣. دراسات إسلامية:-

وهو عبارة عن مجموعة من المقالات الإسلامية وعددها خمس وثلاثين مقالة كتبها سيد - رحمه الله تعالى- ونشرها في مجلات مختلفة، ثم تم جمعها في كتاب، وهي تعالج مواضيعا مختلفة في العقيدة والأخلاق والدعوة والسياسة والاجتماع، وفيه مقالة جميلة جدا عن (حسن البنا) وعبقريته في بناء جماعة الأخوان المسلمين وعن دم الشهيد البنا وعدالة الأرض اوقد صاغها سيد باسلوب قوي جرئ وصريح وقدم الكتاب في طبعته الاولى السيد محب الدين الخطيب.

١٢. هذا الدين:-

وفي هذا المؤلف يوضح -رحمه الله تعالى- خصائص هذا الدين، وأنه منهج للبشر ليس له مثيل فهو منهج ميسر لا مشقة فيه، ومنهج مؤثر في النفس والمجتمع، كما أوضح أن لهذا الدين رصيد من النجاح وهذا الرصيد متمثل في الفطرة، لأنه بعقيدته ونظامه وشريعته يوافق الفطرة الإنسانية، كما يتمثل في رصيد التجربة، فمبادئه ليست خيالية غير صالحة للتطبيق العملي، فقد طبق ونجحت التجربة، وينهي حديثه بضرورة اتخاذ الزاد للطريق الشاق من أجل إقامة المجتمع الإسلامي موضحا أن الزاد هو (زاد واحد ... زاد التقوى ... إنه الشعور بالله على حقيقته إنه التعامل المباشر مع الله ... والثقة المطلقة بوعده الجازم الحاسم)[1]،ويعد هذا الكتاب مرحلة جديدة في فكر سيد وهي الفكر الحركي الإسلامي لاسيما وانه تم تأليفه وهو داخل السجن.

١٣. المستقبل لهذا الدين:-

اصدره بعد كتابه "هذا الدين" مباشرة ويعد متمم ومكمل لهذا الكتاب وفيه يبين أن الإسلام بخصائصه التي تلبي كافة حاجات الإنسانية، فهو الوحيد الذي له المستقبل ويسوق على ذلك الأدلة والحجج، ثم يتحدث عن الفصام النكد بين الديانة النصرانية والعلم، وأن الإسلام ليس بينه وبين العلم أي تخاصم أو تصادم، كما أوضح أن دور الحضارة الغربية قد انتهى واستنفذت الحضارة الغربية أهدافها، وسجل أخيرا صيحات الخطر التي أطلقها علماء الغرب للتحذير من النهاية البشعة التي تقود الحضارة الغربية البشرية إليها وأن الحل الوحيد والمستقبل لهذا الدين لإنقاذ هذه البشرية.

---

[1] قطب، هذا الدين، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص٩٦

١٤. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته:-

وفيه يتحدث -رحمه الله تعالى- عن أسلوب القرآن في عرض العقيدة، ثم يبين الركام الهائل الذي أوجده البشر في إضافتهم للعقيدة وما آلوا إليه من تيه وتخبط في الظلمات وعدم الاستقرار، ويمضي ليوضح دور الإسلام في رفع هذا الركام، ثم يأخذ بعد ذلك بالعرض لخصائص التصور الإسلامي واحدة بعد الأخرى بمستوى رفيع من وضوح الرؤية وعمق التفكير وصفاء العقيدة، وهي الربانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والواقعية، ويختم حديثه عن خصيصة (التوحيد) وهي المنطلق الذي يركز عليه وينطلق منه المؤلف وفق فهمه السليم للإسلام في معظم فكره وعطائه، ويبين الأثر التربوي لهذه الخصيصة، وما تفعله في نفوس الأفراد وانعكاس ذلك على المجتمعات، والكتاب مرجع رئيس من مراجع العقيدة الإسلامية.

١٥. الإسلام ومشكلات الحضارة:-

يتناول الشهيد -رحمه الله تعالى- في كتابه حياة الإنسان المعاصر، ومنهج الأسلوب المسادي الذي يجعل الناس في اضطراب ولهاث مستمر يقودهم إلى الهاوية، التي تلتهم قيم الحياة وكرامة الإنسان، ثم يؤكد أن أي نظام أو فكر مادي لا يوصل إلا للدمار والهاوية، ثم يعطي البشرية العلاج والدواء، موضحا أن الإسلام هو الوحيد القادر على حل مشكلات الحضارة الإنسانية، ثم يمضي للحديث عن (الإنسان ذلك المجهول)، موضحا أن الحضارة الإنسانية لم تكتشف الإنسان بعد ولم تتناول منه سوى جسده وشهوته، بينما روحه ونفسه تقبع في ظلمات بعضها فوق بعض.

ويتناول المؤلف ثلاثة مسائل رئيسة في حياة الإنسان وهي:-

- النظرة إلى الإنسان وحقيقة فطرته واستعداداته.
- النظرة إلى المرأة وعلاقات الجنسين.
- النظم الاقتصادية والاجتماعية.

وذلك بتشخيص لهذه المسائل، وبيان لسماتها وآثارها، ثم بعد ذلك يصف الحل ويبين الدواء، ولم ينس سيد ان يستشهد لما يقول عن خطر مشكلات الحضارة بكلام العلماء والمفكرين الغربيين كما ذكر عددا من مشاهداته في امريكا وقام بتوظيفها كامثلة ودلائل ونماذج شاهدة على مدى خطر الحضارة الغربية على البشرية.

١٦. **معالم في الطريق:-**

وهو آخر ما كتب سيد قطب -رحمه الله تعالى- ، كما كان سببا في تعجيل إصدار حكم الإعدام عليه، حيث جعلته هيئة المحكمة من بين حيثيات الحكم. وقد تضمن كتابه هذا قواعد أساسية للفكر الإسلامي والتنظيم الواعي، الذي يقوم على الفهم العميق للعقيدة الإسلامية، والإدراك الشامل لمشكلات الأمة الإسلامية وطريقة معالجتها بالإسلام دون سواه. كما ركز الكتاب على ضرورة الفصل بين المجتمع الإسلامي المنشود كما قام في العصر الإسلامي الأول، وبين المجتمعات الجاهلية التي تحيط به من كل جانب أو تتربص به في قسوة لا ترحم، أفراد وبيئات وجماعات. وقد كان كتابه هذا بمثابة بلاغ للناس جميعا، ووصية منه -رحمه الله تعالى- للعاملين من بعده في مجال الدعوة والحركة الإسلامية، للعمل على تربية جيل قرآني فريد كالجيل الأول، وعدم مهادنة الباطل كيفما كانت صوره، ليقوم مجتمع إسلامي نظيف تنبثق منه الحكومة الإسلامية العادلة. وختم حديثه عن قصة أصحاب الأخدود، وما توحيه هذه القصة للعاملين بشكل عام وطلائع البعث الإسلامي بشكل خاص، ويتجلى في هذا الفصل الوصية من القائد لجنوده، وهو ذاهب ليلقى ربه.

وأخيرا: هذه بعض من الكتب التي تم طبعها في حياته، والتي تبين مدى الارتقاء والتطور الفكري عند سيد فقد ابتدأ في الموضوعات الأدبية والنقدية حتى وصل إلى القمة والريادة وكانت بداياته في مدرسة العقاد الأدبية إلا انه لم يستمر فيها بل بدأ يخرج عنها وعليها تدريجيا حتى استقل بفهم جديد في الأدب والنقد وتمكن من الجمع بين مدرستي الأدب اللفظية والمعنوية واخذ بحسنات المدرستين وتلافى أخطاءهما، ألا انه ترك الدراسات الأدبية بعد أن اصبح رائدا فيها ليبدأ جولة جديدة ومجالا جديدا في البحوث الإسلامية ولعل كتابيه التصوير الفني في القرآن والنقد الأدبي أصوله ومناهجه يمثلان القاعدة لمدرسته الأدبية والنقدية.

بدأ سيد سيره في البحوث الإسلامية من خلال دراسته الفنية الجمالية للقرآن التي ترتبط بمدرسته الأدبية ليرتقي من خلالها في الدراسات الفكرية الإسلامية العامة، ثم تابع ارتقاءه في هذه الدراسات ليصل إلى الدراسات الإسلامية الحركية وليكون فيها من الرواد.

لقد كان رائدا في الدراسات الفنية الجمالية البيانية القرآنية من خلال كتابه "التصوير الفني في القران"و"مشاهد القيامة في القران" .

ورائدا في الدراسات الإسلامية الفكرية العامة من خلال "العدالة الاجتماعيـــة فـــي الاســلام "و"السلام العالمي والإسلام".

ورائدا في الدراسات الإسلامية الحركية من خلال "الظلال"و"هذا الديـــن"و"المســتقبل لــهذا الدين"و"معالم في الطريق".

الفصل الثاني

فكر سيد قطب السياسي وأبعاده التربوي

المطلب الأول: الدولة في الإسلام

المبحث الأول: تعريف الدولة في الاصطلاح القانوني والشرعي

تعد الدولة صورة من صور الجماعات السياسية التي لم توجد عفويا، وإنما جاء وجودها كظاهرة إنسانية متطورة نتيجة لتواكب إرادات مختلفة الطبائع ومتباينة الأثار، وإذا ما عدنا لتعريف هذه الكلمة نجد أن فقهاء القانون وعلماء السياسة لم يجمعوا على تعريف موحد، وذلك بسبب ما سعى كل منهم إلى إبرازه ودعم أفكاره وتصوراته عن هذا التجمع الإنساني المنظم.

لقد قيل في تعريف الدولة تعريفات متعددة، فيما يلي أورد بعضها على سبيل المثال:-

عرفها محسن خليل بأنها: (جماعة من الأفراد تقطن على وجه الدوام والاستقرار إقليما جغرافيا معينا، وتخضع في تنظيم شؤونها لسلطة سياسية تستقل في أساسها عن أشخاص من يمارسها)[1].

وعرفها كمال الغالي بقوله: (مجموعة متجانسة من الأفراد تعيش على وجه الدوام في إقليم معين وتخضع لسلطة عامة منظمة)[2].

وهذه التعريفات وغيرها نجد أنها اتفقت في تحديد أركان ثلاثة للدولة، وهذه الأركان هي:

أولا: الشعب: وهو المجموعة الكبيرة من الناس التي تعيش حياتها المستقرة الدائمة.

ثانيا: الإقليم: وهو الأرض التي تعيش عليها تلك المجموعة من الناس.

ثالثا: السلطة الحاكمة: وهي التي تملك إصدار الأوامر والنواهي، وسن الأنظمة التي تدير بها شؤون الرعية ولها واجب الطاعة .

ويلحظ من هذه التعريفات أنها ركزت على الجانب والكيان المادي وأغفلت الكيان الروحي، بخلاف الدولة الإسلامية التي تقوم على الجمع ما بين الكيان المادي والروحي، وجعل الكيان الروحي يتغلغل في كل أركان الدولة.

ولذلك يمكن القول أن الدولة الإسلامية هي: مجموعة من الأفراد هم بحسب الغالب من المسلمين، يعيشون على رقعة من الأرض، ويلتزمون التزاما حتميا وقطعيا بالقواعد والضوابط

---

[1] خليل، محسن النظم السياسية والقانون الدستوري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ج١، ص٢٢

[2] الغالي، كمال ، مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، مطبعة الداودي، دمشق، ١٩٨٥م، ص١٢

الإلهية في نطاق العقيدة والتشريع المبينة في مصادرها التفصيلية، ويخضعون لسلطة سياسية تلتزم بالامتثال وكفالة ما أمر به الشارع[1].

– **ففي مجال عنصر الشعب:** فإن المعيار المميز للأمة الإسلامية عن غيرها هو وحدة العقيدة، وهي الرابطة التي تولد لدى الأفراد الرغبة في العيش معا. وقد وضع الشارع الإسلامي القواعد والضوابط التي تحفظ لغير المسلم ذميا أو مستأمنا حقوقه وتحقق له الطمأنينة والحماية والعدل.

– **وفي مجال عنصر الإقليم:** فقد حدد الفقه الإسلامي أن دار الإسلام تشمل جميع الأراضي التي يعترف فيها بالسلطة العامة للمسلمين، بحيث يكون للدولة الإسلامية على هذه الأراضي كل مظاهر السيادة والسلطان، وإن اغتصاب أرض إسلامية من قبل دول أخرى لا يفقد هذه الأراضي طبيعتها الإسلامية، ويجب على المسلمين أن يعدوا العدة لتخليص هذه الأراضي من سيطرة الدول الأجنبية[2].

– **وفي مجال السيادة:** فقد عبر عنها القرآن الكريم بمصطلح (الحاكمية) وهو من له حق التشريع والأمر والنهي وهو الله تعالى، وأوجب التشريع الإسلامي أن يكون هنالك إمام للمسلمين يقوم على إقامة شريعة الله وحدوده، ويسير بالأمة بما يحقق لها مصالحها، فيجمع بين رياسة الدين والدنيا معا.

و الدولة في فكر الشهيد سيد –رحمه الله تعالى– ضرورة لابد منها، فهي ضرورة لإقامة منهج الله في الأرض، وتبنيه من خلال دولة تنفذ أحكام الشرع، وتحمي حمى الإسلام. ولقد أكثر الشهيد من الحديث في مؤلفاته عن الدولة الإسلامية وأن الإسلام لا يتحقق كما أراده الله إلا إذا هيمن على الحياة بشتى جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ...الخ.

ويلحظ أن الشهيد يطلق على الدولة الإسلامية أكثر من عبارة، ويتحدث عنها بأكثر من صورة، فأحيانا يتحدث عنها من خلال وصفه لـ (المجتمع الإسلامي) وخصائصه، وأحيانا تحت فكرة: (الإعلان العام لتحرير الإنسان) وأحيانا أخرى تحت عنوان: (دار الإسلام).

فعلى سبيل المثال نجده في المعالم يقول: (إن هذا الإعلان العام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله، بإعلان الألوهية لله وحده وربوبيته للعالمين، لم يكن إعلانا نظريا

---

[1] النادي، فؤاد محمد، موسوعة الفقه السياسي الإسلامي ونظام الحكم في الإسلام، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٠م، ج١، ص٤١

[2] النادي، موسوعة الفقه السياسي الإسلامي، ج١، ص٤١، بتصرف شديد

فلسفيا وإنما كان إعلانا حركيا واقعيا، إعلانا يراد له التحقيق العملي في صورة النظام الذي يحكم البشر بشريعة الله)[1].

ويقول رحمه الله: (وعبادة الله وحده لا تتحقق في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي إلا في ظل النظام الإسلامي، فهو وحده الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم...)[2].

لقد استطاع الإسلام (أن يقيم بالجماعة الإسلامية موازين جديدة وينشئ فيها قيما جديدة، ويمحو ملامح الجاهلية في النفس والمجتمع، ويثبت ملامح الإسلام الوضيئة الجميلة، ثم يقودها في المعركة مع أعدائها في الداخل والخارج ... اليهود والمنافقين والمشركين ... وهي على أتم استعدادها للقائهم والتفوق عليهم بمتانة بنائها الداخلي الجديد: الاعتقادي والأخلاقي والاجتماعي والتنظيمي على حد سواء... ولقد كان التفوق الحقيقي للمجتمع المسلم على الجاهلية من حوله ... هو تفوقه في البناء الروحي والخلقي والاجتماعي والتنظيمي قبل أن يكون ... عسكريا أو اقتصاديا أو ماديا ... بل هو لم يكن تفوقا عسكريا واقتصاديا، فقد كان أعداء المعسكر الإسلامي دائما أكثر عددا ... وعدة ... ومالا ... سواء في داخل الجزيرة العربية أو في خارجها ...ولكن هذا التفوق كان في ذلك البناء الروحي والخلقي والاجتماعي ومن ثم السياسي والقيادي الذي أسسه الإسلام بمنهجه الرباني المتفرد ...)[3].

إن الإسلام دين يهتم بشؤون الجسم والمادة ويجمع بين مصالح الروح والجسد، وبقدر ما يحث على العمل للآخرة يأمر بالعمل لهذه الحياة والأخذ بنصيب منها، قال تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ))[4]، ولذلك فهو دين يتصف بالإيجابية، تنمو الحياة في ظله وترتقي، وهو نظام كامل لحياة كاملة، وليس مجرد عقيدة روحية للعبادة والانعزال، (ويخطئ من يظن أن الإسلام دين لا دولة، عقيدة لا نظام، بل الإسلام عقيدة ونظام ودين ودولة)[5].

لقد كان القرآن الكريم هو الدستور السامي للدولة الإسلامية منذ أن بدأت الدعوة الإسلامية عملها لتكوين هذه الدولة وإنشاء تلك الأمة (فقد نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله

---

[1] قطب، معالم في الطريق، ص٦٨

[2] قطب، معالم في الطريق، ص٨٩

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٧٢-٦٧٣، بتصرف يسير

[4] القصص (٧٧)

[5] غوشة، عبدالله، الدولة الإسلامية دولة إنسانية، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)، عمان، الأردن، ص١٣

عليه وسلم، لينشئ أمة وليقيم به دولة ولينظم به مجتمعا ... وليحدد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه وروابط تلك الدولة مع سائر الدول، وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم وليربط ذلك كله برباط قوي واحد يجمع متفرقه ويؤلف أجزائه، ويشدها كلها لمصدر واحد وإلى سلطان واحد وإلى حجة واحدة وذلك هو الدين كما هو حقيقته عند الله، ...)[1] .

إن هذا هو الهدف الأصيل الذي جاء القرآن لتحقيقه وتثبيت دعائمه، فالسلطان والقوامة لله تعالى دون سواه في هذه الأمة، وهذا البناء الفريد والمنهج للحياة بشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها وأخلاقها تستمد وتتلقى منه وحده دون سواه.

إن الدين الإسلامي جاء كاملا متكاملا يقول تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دينا...))[2] وفي هذه الآية دلالة على أن (شريعة الله كل لا يتجزأ، سواء فيه ما يختص بالتصور والاعتقاد، وما يختص بالشعائر والعبادات، وما يختص بالحلال والحرام، وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية، وأن هذا في مجموعه هو الدين الذي يقول عنه تعالى في هذه الآية أنه أكمله، وهو النعمة التي يقول الله للذين آمنوا، أنه أتمها عليهم ... وأنها كلها في مجموعها تكون المنهج الرباني الذي ارتضاه الله للذين آمنوا، والخروج عليه في جزئية منه كالخروج عليه كله ... والأمر في هذا يرجع إلى أن من رفض شيء من هذا المنهج الذي رضيه الله للمؤمنين، واستبدال غيره به من صنع البشر معناه الصريح هو رفض ألوهية الله سبحانه، وإعطاء خصائص الألوهية لبعض البشر واعتداء على سلطان الله في الأرض ... وهذا معناه الصريح الخروج على هذا الدين، والخروج من هذا الدين بالتبعية)[3].

فكل ذلك خروج عن منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، واعتداء على حق الله تعالى في حكمه وتشريعه وتنظيمه، وخروج على ألوهيته وربوبيته سبحانه.

لقد أبان القرآن الكريم حقوق الدولة الإسلامية وحدد واجباتها، ورسم لها القواعد الكلية والأصول العامة التي تنظم شؤون الأمة، وهذه القواعد والأصول لا تختلف فيها أمة عن أمة، ولا زمان عن زمان، أما الأمور التي تختلف فيها الأمم باختلاف أزمنتها وأمكنتها فقد ترك لأولي الأمر في كل زمان أن يشرعوا لها من الأحكام ما يحقق مصالحها ويدفع مفاسدها، على أن لا تتعدى القواعد والأصول العامة التي قررها الشرع، ولذلك ألزم الحاكمين والمحكومين التقيد التام بأحكامه وأهدافه السامية، وعلى الرعية أن تطيع الحاكمين ضمن حدود الإسلام، فإذا خرج

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٢٥

[2] المائدة (٣)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٤١،٨٤٢

الحاكمون عن طاعة الله فلا طاعة لهم يقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا))[1].

ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم باعتبارهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي، يثبت أن هنالك مبادئ أساسية لنظام الحكم ووظائف ومهام للدولة الإسلامية.

فالمبادئ هي: مبدأ الحاكمية (السيادة) ومبدأ الشورى ومبدأ العدل ومبدأ المساواة.

أما الوظائف والمهام فهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق الأمن والسلام على مختلف مستوياته، والحث على الجهاد وحفظ ما يتعلق به من معاهدات ومواثيق.

وفي ثنايا الصفحات المقبلة سأتعرض لكل مبدأ و وظيفة على حدة، وسأبرز رأي الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- من خلال أقواله وبلورة أفكاره، واستخراج الجوانب التربوية لكل من المبادئ والوظائف بإذن الله تعالى.

---

[1] النساء (٥٩)

المطلب الثاني: المبادئ الأساسية لنظام الحكم

المبحث الأول: مبدأ الحاكمية

يعد مبدأ الحاكمية حجر الأساس في نظام الحكم الإسلامي، بل وفي كل الأنظمة الإسلامية الأخرى على اختلافها، والحاكمية بمفهومها العام (يتعلق بمن له حق التشريع وإصدار الأمر والنهي)[1]، وهو ما يعبر عنه فقهاء القانون بمصطلح (السيادة) في القوانين الدستورية الحديثة.

ولما كان فقه السياسة الشرعية هو أحد جوانب فقهنا الإسلامي الرحب الذي يستوعب الحياة الإنسانية كلها، والتي تعد الحاكمية الإلهية جزء من هذه السياسة، بالإضافة إلى أنها جزء من عقيدة التوحيد، فقد اهتم القرآن الكريم كثيرا بتقرير حقيقة الحاكمية والعناية بها في أكثر من مائتي آية، وفي أكثر من خمسين سورة[2]، من سوره المكية والمدنية، ولعل سر هذا الاهتمام أن هذه القضية، قضية عقيدة، يتوقف عليها قبول مصير الإنسانية، كفر أو إيمان، سعادة أو شقاء، (كما قرر القرآن وبنصوص صريحة قاطعة الدلالة على أنه سبحانه هو الخالق للكون وما فيه من كائنات، فهو رب الناس، ورب العالمين .. والناس كلهم عبيده، وأنه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، وجعل الحكم أمانة، ولم يجعل لغيره بالحكم أي لون من ألوان السيادة على العامة، لأنه وحده السيد المطلق والناس جميعا عبيده، قطعا لما قد يتوهم من سيادة للحاكم على المحكومين كما كان شائعا قبل الإسلام، فجعل الحكم حقا له في الأصل وللأمة المستخلفة بطريق التبعية، وللخليفة بطريق الوكالة عن الأمة التي نصبته)[3].

وإن المتأمل للسياق القرآني الذي عالج قضية الحاكمية، ليلمس بجلاء ووضوح أن الديانات السماوية جميعا جاءت لتقرر أن الحياة الإنسانية لا يستقيم أمرها، ولا تتخلص من علاتها وويلاتها إلا إذا كان الحكم لله وعلى شريعة الله .

يقول الشهيد سيد قطب –رحمه الله تعالى–: (إن السياق القرآني يقرر أن توافي الديانات التي جاءت من عند الله كلها على تحتيم الحكم بما أنزل، وإقامة الحياة كلها على شريعة الله، وجعل الأمر مفرق الطريق بين الإيمان والكفر ... وبين الشرع والهوى، فالتوراة أنزلها الله فيها هدى ونور ((يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ

---

[1] السيد، طه عزمي، "الثقافة الإسلامية مفهومها، مصادرها، مجالاتها"، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٥م، ص٢٩٠

[2] عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الفكر، ط١، ١٩٨٦م، ٢١٢-٢١٣-٢١٥

[3] شلتوت، محمود، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، القاهرة، د.ت، ص٢٥٠-٢٥١

اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ...))[1] ... . والإنجيل آتاه الله عيسى بن مريم ((مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ...))[2] ... ((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ))[3] ... والقرآن أنزله الله على رسوله بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، وقال له: فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم، وكذلك تتوافى الديانات كلها على هذا الأمر، ويتعين حد الإيمان وشرط الإسلام، سواء للحكام أو المحكومين ... والمناط هو الحكم بما أنزل الله من الحكام، وقبول هذا الحكم من المحكومين، وعدم ابتغاء غيره من الشرائع والأحكام)[4].

إن الحاكمية بكل معانيها لله تعالى وحده، فهو الحاكم الحقيقي في واقع الأمر، ولا يستحق أحد أن يكون الحاكم الأصلي إلا هو وحده، فجميع القوانين تسن بإرادة صاحب الحاكمية، ويجب على الأفراد الطاعة التامة والخضوع المطلق، فليس لفرد أو طبقة أو حزب نصيب من الحاكمية، وليس لأحد من دون الله شيء من أمور التشريع، (يجب أن يكون الله وحده هو الحاكم في حياة العباد وألا يكون لغيره نهي أو أمر ولا شرع ولا حكم ولا تحليل ولا تحريم ... ولا يجوز أن يزاوله في حياة الناس أحد من دون الله ...)[5]، (إن الناظر إلى كتب أصول الفقه يجد أن مباحث هذا العلم ومقدماته المعروفة حول الحكم الشرعي، مبحث الحاكم، وكلها تقرر أن الحاكم هو الله تبارك وتعالى)[6].

وينطلق الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- ليحدد حقيقة الحاكمية وماهية السلطة في الإسلام، ولمن تكون السيادة في الدولة الإسلامية، موضحا أنها ليست كما كان رجال الدين في أوروبا يمارسونها من حيث زعمهم أنهم مفوضون عن الله في حكم الناس، وأنهم ينوبون عن الله في التشريع والتحليل والتحريم وهم بيدهم حق إدخال الجنة وحرمان الناس منها، وإدخالهم النار، وهو ما عرف باسم (الغفران والحرمان)، ونشأ عنه ما عرف باسم الحكومة الدينية أو الثيوقراطية، التي حرقت العلماء، وصادرت حريات الناس باسم الحق الإلهي، إلى أن حدثت الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر لتخليص الشعوب الأوروبية من القهر والاستبداد،

---

[1] المائدة (٤٤)

[2] المائدة (٤٦)

[3] المائدة (٤٧)

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٨٨-٨٨٩، بتصرف

[5] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص١٠١٧

[6] القرضاوي، السياسة الشرعية، ص١٩

فنقلوا حق السلطة أو السيادة من الملك إلى الشعب، واعتبروا ذلك في القانون الدستوري مكسبا من أعظم المكاسب الجماهيرية المقدسة.

يقول الشهيد: (وسلطان الله في الأرض لا يقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعينهم هم رجال الدين، كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ولا رجال ينطقون باسم الآلهة كما كان الحال فيما يعرف باسم (الثيوقراطية) أو الحكم الإلهي المقدس !! ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة، وأن مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة بينة)[1].

وبذلك تكون الحاكمية في الإسلام بأن تكون شريعة الله هي مصدر التشريع، ولا يختلف الفقهاء قديما وحديثا في أن نظام الحكم في الإسلام يقوم على أساس أن السلطان للشرع من خلال مبادئ القرآن والسنة بحيث لا يصدر تشريع يخالف هذه المبادئ.

إن الأنظمة الإسلامية كافة تستمد تصورها ومفرداتها من قاعدة واحدة وهي القاعدة الأولى في هذا الدين الحنيف ألا وهي إفراد الله تعالى بالعبودية والتلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية هذه العبودية، والتي تمثلت بالركن الأول من أركان الإسلام، **فالأولى:** يمثلها شهادة أن لا إله إلا الله ،**والثانية:** شهادة أن محمدا رسول الله، وكل ما بعدهما من أركان للإسلام والإيمان ونظام للمعاملات والعقوبات والتشريعات إنما تقوم كلها على قاعدة العبودية لله وحده، والمرجع فيها هو ما بلغه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه. يقول الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى-: (ولعل السمة المميزة لطبيعة المجتمع الإسلامي أنه يقوم على قاعدة العبودية لله وحده والتي تتمثل في التصور الاعتقادي كما تتمثل في الشرائع القانونية سواء ...)[2].

وبذلك فالقاعدة الأولى من قواعد نظام الحكم الإسلامي تفيد بأن الحاكمية والسيادة للشرع مطلقا وهو ما تقتضيه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي الحقيقة التي جاء بها الأنبياء جميعا من يوم آدم حتى رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))[3]، يقول الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى-عن انبثاق النظم الإسلامية ولا سيما الحاكمية عن قاعدة التوحيد في تفسيره لآية الكرسي: (هذه الوحدانية الحاسمة الناصعة هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي، والتي ينبثق منها منهج الإسلام للحياة كلها، وعن هذا التصور تنشأ قاعدة الحاكمية لله وحده فيكون الله وحده هو المشرع للعباد، ويجيء تشريع البشر مستمدا من شريعة الله، وعن هذا التصور تنشأ

---

[1] قطب، معالم في الطريق، ص٦٨

[2] قطب، معالم في الطريق، ص٤٩

[3] الأنبياء (٢٥)

قاعدة استمداد القيم كلها من الله، فلا اعتبار لقيمة من قيم الحياة كلها إذا لم تقبل في ميزان الله، ولا شرعية لوضع أو تفكير أو تنظيم يخالف منهج الله، وهكذا إلى آخر ما ينبثق عن معنى الوحدانية من مشاعر في الضمير أو مناهج لحياة الناس في الأرض على السواء)[1].

ويقول: (إن هذا الدين له حقيقة مميزة لا يوجد إلا بوجودها حقيقة الطاعة لشريعة الله والاتباع لرسول الله و التحاكم إلى كتاب الله وهي الحقيقة المنبثقة عن عقيدة التوحيد ... توحيد الألوهية التي لها وحدها الحق في أن يعبد الناس لها ... والتي يتحاكمون إليها ويرتضون حكمها ومن ثم توحيد القوامة التي تجعل الحاكمية لله وحده في حياة البشر ... كما أن الحاكمية لله وحده في تدبير أمر الكون كله وما الإنسان إلا قطاع من هذا الكون الكبير)[2].

ويذهب -سيد رحمه الله تعالى- ليقرر بعد ذلك إلى وجود تلازم حتمي بين دين الله وبين الحكم بما أنزل الله، موضحا أسباب هذا التلازم فيقول: (حتمية التلازم بين دين الله وبين الحكم بما أنزل الله لا تنشأ فحسب من أن ما أنزل الله خير مما يضع البشر لأنفسهم من مناهج وشرائع وأنظمة وأوضاع، فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية وليس هو السبب الأول ولا الرئيس، إنما السبب الأول والرئيس والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي: **أن الحكم بما أنزل الله إقرار بالوهية الله**، ونفي هذه الألوهية وخصائصها عمن عداه، وهذا هو الإسلام بمعناه اللغوي الاستسلام، وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان الإسلام لله والتجرد عن ادعاء الألوهية معا وادعاء أخص خصائص الألوهية وهي السلطان والحاكمية وحق تطويع العباد وتقييدهم بالشريعة والقانون).[3]

ويقول في موضع آخر: (فتوجيد الدينونة لله وحده هو مفترق الطريق بين الفوضى والنظام في عالم العقيدة، وبين تحرير البشر من عقال الوهم والخرافة والسلطان الزائف أو استعبادها للأرباب المتفرقة ونزواتهم وللوسطاء عند الله من خلقه وللملوك والرؤساء والحكام الذين يغتصبون أخص خصائص الألوهية وهي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية فيعبدون الناس لربوبيتهم الزائفة المغتصبة [4]).

ويخلص سيد -رحمه الله تعالى- من هذه الحتمية وذلك التلازم إلى أنه يحرم الحكم بغير ما أنزل الله مهما كانت الظروف أو المقاصد، وأن التفريط بجزء من هذه الأحكام هو تفريط بالأحكام

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٢٨٦-٢٨٧

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٣٨٧

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٢٨، ص٨٨٩

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص١٨٥٢

كاملة، كما أنه يحرم اتخاذ شرائع تشابه شريعة الله، أو حتى شريعة الله نفسها إذا نسبوها لأنفسهم ووضعوا عليها شاراتهم، أو لم يردوها إلى الله أو لم يطبقوها باسم الله إذعانا وخضوعا لسلطانه واعترافا بألوهيته، يقول: (لقد كمل هذا الدين وتمت به نعمة الله على المسلمين ... ولم يعد هنالك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديله، ولا لترك شيء من حكم إلى حكم آخر، ولا شيء من شريعته إلى شريعة أخرى، وأي تعديل في هذا المنهج هو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة يخرج صاحبه من هذا الدين، وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شيء بما أنزل الله واتباع أهواء المحكومين والمتحاكمين ... وأن هواجس قد تترسب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه في بعض الملابسات والظروف، فحذر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ((وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ))[1] ... وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة، ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة لغرض من الأغراض في ظرف من الظروف)[2].

ويقول: (إن المسألة في هذا كله مسألة إيمان أو كفر وإسلام أو جاهلية، شرع أو هوى وأنه لا وسط في هذا الأمر ولا هدنة ولا صلح، فالمؤمنون هم الذين يحكمون بما أنزل الله لا يحرفون منه حرفا ولا يبدلون منه شيئا، والكافرون والظالمون الفاسقون هم الذين لا يحكمون بما أنزل الله ... وإما أنه أن يكون الحكام قائمين على شريعة الله كاملة فهم في نطاق الإيمان، وإما أن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يأذن به الله فهم الكافرون الظالمون الفاسقون، وإن الناس إما أن يقبلوا من الحكام أو القضاة حكم الله وقضاءه في أمورهم فهم مؤمنون وإلا فما هم بالمؤمنين، ولا وسط في هذا الطريق ولا حجة ولا معذرة ... وليس أحسن من حكم الله وشريعته حكم أو شريعة..)[3]. ويقول: (إن الحكم لا يكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية، من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه وتعالى أولى خصائص ألوهيته، سواء ادعى هذا الحق فرد أو طبقة أو حزب أو هيئة أو أمة أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية، ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفرا بواحا يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة ..)[4]. وأخيرا يلفت سيد -رحمه الله تعالى-

---

[1] المائدة (٤٩)

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٠٢-٩٠٤

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٢٨، ص٨٨٨

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٩٩٠

النظر إلى المناورة التي قد يلجأ إليها بعض الأشخاص أو الأنظمة بادعاء أن عدم تطبيق الإسلام يرجع إلى عدم صياغة أحكامه في قوالب قانونية حديثة، وأنه لا يوجد فقها مقننا من قبل المجتهدين لتطبيقه، وطالب بعدم الالتفات إلى هذه المناورة أو الاستجابة إليها، فما هي إلا أسلوب هزيل، الغرض منه الهروب من الدعوة إلى تطبيق شرع الله . يقول: (إن الجاهلية التي حولنا تضغط على أعصاب بعض المخلصين من أصحاب الدعوة وتتعمد إحراجهم فتسالهم: أين تفصيلات نظامكم الذي تدعون إليه ؟ وماذا أعددتم لتنفيذه من بحوث ودراسات ومن فقه مقنن على الأصول الحديثة، كأن الذي ينقص الناس في هذا الزمان لإقامة شريعة الإسلام في الأرض هو مجرد الأحكام الفقهية والبحوث الفقهية الإسلامية وكأنما هم مستسلمون لحاكمية الله ولكنهم لا يجدون من المجتهدين فقها مقننا بالطريقة الحديثة، وهي سخرية هازلة... لا تريد الجاهلية بها إلا أن تجد لنفسها سببا في نبذ شريعة الله واستبقاء العبودية للبشر، ومن واجب أصحاب الدعوة ألا يستجيبوا لهذه المناورة وأن يرفضوا إملاء منهج غريب على دينهم وأن يكشفوا مناورة الإحراج وأن يستعلوا عليها وأن يرفضوا السخرية الهازلة فيما يسمى بتطوير الفقه الإسلامي في مجتمع لا يعلن خضوعه لشريعة الله وأن يرفضوا هذه التلهية عن العمل الجاد... التلهية باستنبات البذور في الهواء وأن يرفضوا هذه الخدعة الخبيثة...)[1].

---

[1] قطب، معالم في الطريق، ص٤٤-٤٥

الجوانب التربوية لمبدأ الحاكمية:

بعد هذا الاستعراض لمبدأ الحاكمية من خلال أقوال الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى على اعتبار أنها أول المبادئ السياسية للدولة الإسلامية، يظهر جليا أن لهذا المبدأ اثر واضح في حياة الأفراد وواقع الجماعات التي تتبناه. فمن آثاره على الأفراد والمجتمعات ما يأتي:

١-تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى:

فالحاكمية تعمل على إخلاص العبودية لله تعالى، ومن ثم فهي تحرر الإنسان من كل ولاء لغير الله والتمرد على أي قانون يخالف شريعته وأي حكم غير حكمه، وبذلك تبني القناعات لدى الإنسان من خلال تحرير فكره من الخرافات والأوهام ومن السلبية والجهل والأضاليل وتعطي عقله المجال الأرحب للإبداع والتفكير دونما حجر أو تعويق أو ترهيب.

٢- تحرير الإنسان من الظلم والجشع ومساوئ الأخلاق:

الإنسان بغير حكم الله حيوان كاسر لا تقيده قيم ولا يضبط سلوكه ضابط أو مقياس فيصبح همه إشباع غروره وميوله حتى وان كان ذلك على حساب الآخرين وبذلك يصبح الظلم والطمع طبيعته وقانونه في الحياة ويكون الحق والعدل ابغض شئ له إلا إذا وافق طمعه ورغبته، ومثلما استطاعت الحاكمية أن تحرر الناس من الظلم الذي سيطر عليها في الجاهلية فإنها ولا شك قادرة على تحريره اليوم من عدوة الشعوب ومستغلة المستضعفين الرأسمالية الغربية التي أثرت على حساب حقوق المحرومين والمستضعفين كما أنها قادرة على تحريره من الشيوعية التي تسفك دماء الناس وتبتلع أموالهم دون قيود أو مراعاة لأبسط حقوق التملك في الحياة.

٣- تكسب الإنسان روح الانضباط والمسؤولية والاستقامة:

فالحاكمية تؤدي إلى أن يضبط الإنسان سلوكه وفقا لأوامر الله دون أن يكون عبدا لشهواته بل تجعله سيدا لها يوجهها كيفما أراد الله، وهي تكسبه إحساسا بالمسؤولية لأنه مستخلف وصاحب رسالة عليه أن يقوم بواجبها، كما توجد فيه انفعالا دائما بمراقبة الله وخشيته، فتنبع الأخلاق من نفسه عن يقين دون خوف من عقاب أو طمع في ثواب وإنما امتثالا لأمر الله بالتزام جادة الطريق السوي وبذلك يكون الإنسان مستقيما في سلوكه قائما بمسؤولياته.

٤-تحقق السعادة والطمأنينة والأمن للإنسان:

حين يكون حكم الله مطبقا في المجتمع فان الإنسان يظهر بالمظهر السامي الذي يرتفع عن كل الدنايا وعن أسباب القلق والاضطراب ولهذا فمن الملاحظ ان اكثر المجتمعات سعادة وهدوءا وأمنا واقلها اضطرابا ومعاناة المجتمعات التي تطبق الإسلام تطبيقا عمليا لأنها تربي أفرادها على الالتزام بشرع الله تعالى والابتعاد عن أسباب القلق والاضطراب وتغرس في نفوسهم معاني المحبة والألفة والعدل وغيرها من الفضائل التي من شأنها أن تنشئ مجتمعا فاضلا لان

المسلم يعتقد جازما بان الله يراقبه في سلوكه وتصرفاته فيعكس ذلك إيجابيا على صفاته إخلاصا وأمانة وأخلاقا فاضلة وابتعادا عن المعاصي والمنكرات والآثام والشرور.

٥- الحاكمية تنشئ مجتمعا موحدا:

تسعى الحاكمية إلى إقامة مجتمع على أسس ربانية واضحة ثابتة وليس على أسس مادية آنية كالقومية أو الإقليمية أو المصلحة المشتركة أو غيرها من الروابط الزائفة لان هذه الروابط لا تصلح لان تكون دعائم يجتمع الناس عليها .

والسر في أن يكون الحكم لله في المجتمعات أنها تقوم على التوحيد المطلق لله في كل شئ فالرب واحد والرسول واحد والرسالة واحدة ..... ومن ثم فالآمال واحدة والأهداف واحدة فلا بد من ان تكون الأمة واحدة ، وعندما يكون التشريع واحد فان ذلك سيؤدي إلى تجانس مشاعر الأفراد مما يجعلهم قوة متماسكة متضافرة متكافلة أما إذا كان التشريع متعددا فان المجتمع يتمزق ويتفرق وتكون مشاعرهم متناحرة وولائهم متضارب فيضعف حالهم وينهدم وجودهم.

٦- الحاكمية تنشئ مجتمعا نظيفا متعاونا:

تقوم حاكمية الله على تنظيم حياة المجتمع تنظيما شاملا لتجعل منه مجتمعا نظيفا لا جريمة فيه ولا انحراف فالتشريع الإسلامي يحث على الإحسان والتقوى وينهى عن الإساءة والعدوان ويحبب إلى قلوب البشر فعل الخيرات والطاعات بالقول والعمل، وحسبنا أن المجتمع الإسلامي في ظل النظام الإسلامي وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن تجمع الصدقات دون أن يجد فقيرا محتاجا يمد يده ليأخذ منها فيقرر شراء الأرقاء والعبيد ليعيد إليهم حريتهم وحياتهم.

ان هذه الميزات التي يتصف بها المجتمع الإسلامي النظيف تفتقر إليها المجتمعات الأخرى مجتمعات الغاب التي يسودها المخلب والناب فهي مجتمعات سوء التوزيع والكبت والحرمان والقمع والإرهاب والخوف والانحلال الخلقي والمرض النفسي والقلق لعصبي إنها مجتمعات الجريمة المنظمة بكل ما تحمله من معنى.

المبحث الثاني: مبدأ الشورى

جاء الإسلام بعدد من المبادئ الأساسية المتعلقة بالشؤون الدستورية لتقوم عليها الدولة الإسلامية، ولم يتفق الفقهاء على تحديد هذه المبادئ الدستورية، فمنهم من يحددها في مبادئ العدل والشورى والمساواة[1]، ومنهم من يرى أن هذه المبادئ تتمثل بالشورى والعدالة والمساواة والحرية ومسؤولية أولي الأمر[2]، وذهب رأي أخر إلى: العدل والمساواة والحرية والتسامح الديني مع إعطاء مبدأ الشورى أهمية خاصة[3]، وأيا كان هذا الاختلاف في التقسيم فإنه في النهاية يصل لغاية واحدة، ويجب أن نضع في الأذهان مقدما أنها أسس ومبادئ وليست من بنات الفكر السياسي، انطلاقا من أن الفكر هو حصيلة تفاعل الإنسان مع بيئته، وهذه المبادئ وتلك الأسس إنما جاء الأمر بتطبيقها من السماء، على اعتبار أن الدين من عند الله عقيدة وشريعة، وأن الحاكمية لله وحده وأن الإنسان مطالب بموجب ذلك تنفيذ أمر الله تعالى وليس للإنسان أي فضل في ابتداعها، اللهم إلا إذا كان هناك بعض التقدير في التطبيق السليم.

وحقيقة لا أرى أنه من المبالغة إذا قيل أن الشورى هو أهم المبادئ والأسس الدستورية، وذلك انطلاقا من أنها المحور الرئيس الذي تدور حوله كل العمليات السياسية في المجتمع، بل لعله أعلى القيم الدستورية التي تساند بقاء النظام السياسي في الدولة، ولقد كان من حرص الشرع على إيجاد هذه الممارسة في الحياة السياسية الإسلامية للتأكيد على وجود حالة من المراجعة المستمرة بين الحاكم والمحكومين ليتمخض القرار السياسي مستوعبا ما لدى الجماهير من وعي وإدراك، وليكون السلطان الذي على الناس قريبا من فكر القاعدة العريضة للأمة الإسلامية.

معنى الشورى:

في اللغة:-

الشورى في اللغة مشتقة من الفعل (شور)، والفعل ومشتقاته له عدة معان منها:-

- يقال: شار العسل يشوره شورا: استخرجه من الوقبة واجتباه من خلاياه .
- وعن ثعلب قال: يقال شرت الدابة والأمة: أشورهما شورا إذا غلبتهما.

---

[1] خلاف، عبدالوهاب، السياسة الشرعية،دار الأنصار، القاهرة،١٩٧٧م، ص١٩

[2] منولي، عبدالحميد، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٤٠

[3] أبو زيد، فهمي مصطفى ، فن الحكم في الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص٣٠٨-٣٩٩

* ومنه حديث أبي طلحة: أنه كان يشور نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يعرضها على القتل.

* ويقال: شاوره مشاورة وشوارا واستشارة، طلب منه المشورة.

والمشورة لغتان: قال الفراء: المشورة أصلها مشورة، ثم انقلبت إلى شورى لخفتها[1].

في الاصطلاح:

مما سبق يتضح من مجمل معاني الشورى في اللغة أنها: طلب الشيء، لذا قال عنها بعض العلماء بأنها: (خطوة في سبيل اتخاذ القرار السياسي من خلال العودة إلى أصحاب الشأن والمعرفة والدراية ...)[2].

وعرفها الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- بقوله: (إن الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ ... ولا مجال بعدها للتردد والتأرجح ومعاودة التقليب من جديد ...)[3].

ويظهر من خلال تعريف الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- للشورى وجود عدد من الشروط حتى ينطبق مبدأ الشورى الذي أراده النظام الإسلامي **وهذه الشروط هي:-**

١- يجب أن يكون هناك مذاكرة وعرض للأمر المراد من قبل أهل الرأي للوصول إلى الحكم .

٢- يجب أن يتم اختيار رأي واحد من كل الآراء المعروضة من أهل الاختصاص دون إكراه.

٣- أن يتم تنفيذ هذا الرأي دون تردد أو تأرجح.

فإذا فقد شرط من هذه الشروط، فقد اختل مبدأ الشورى الإسلامي كليا.

وقد وضع الأستاذ أبو الأعلى المودودي شروطا خمسة لقاعدة الشورى، اشترك في ثلاثة مع الشهيد وأضاف:-

١- أن ينال الناس الحرية الكاملة في التعبير عن آرائهم في أمور المجتمع التي تتعلق بهم و بحقوقهم ومصلحتهم ...

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، المجلد ٤، ص٤٣٤،٤٣٦

[2] حليفة، عبدالرحمن، في علم السياسة الإسلامي، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص١٣٦

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٠٢-٥٠٣

٢- أن مسؤولية تصريف أمور المجتمع لابد وأن تلقي على كاهل من يتم تعيينه أو اختياره برضا الناس، وهذا الرضا لابد أن يكون حرا[١].

وبذلك يتضح لنا أن المعنى الذي ورد في اللغة والاصطلاح قريب من المعنى الذي تضمنته النصوص الشرعية، وأصبح مبدأ الشورى جزءا من واقع العمل السياسي في ظل نظام الحكم في الإسلام .

أهمية الشورى:

إن للشورى أهمية كبرى في أي تنظيم كان، أو أي جماعة من الجماعات، وترتكز عليها كل دولة تنشد لرعاياها الأمن والاستقرار، ذلك لأنها الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة وجلاء الأمر وتوضيح السبيل، وهي أثر طبيعي لاحترام الإسلام للعقل ومظهر من مظاهر المساواة بين المسلمين، وحرية الرأي والنقد، كما أن في الشورى تذكيرا للأمة بأنها صاحبة سلطة وتذكيرا للحاكم بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطة، فلا عجب إذن أن نرى الإسلام قد اهتم كثيرا بمبدأ الشورى، فسمى سورة من سور القرآن الكريم بسورة الشورى، وجعل من ألزم صفات المؤمنين (الشورى) فحياتهم تقوم عليها وأمرهم كله شورى بينهم. قال تعالى ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))[٢]. يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: (هنا في هذه الآيات يصور خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتميزها، ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة، فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة (وأمرهم شورى بينهم) مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاما سياسيا للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة بوصفها إفرازا طبيعيا للجماعة ...)[٣].

إن من مظاهر اهتمام القرآن الكريم بالشورى أنه قد سجل ممارسات تطبيقية عملية للشورى، حتى ينتفع الناس بها، ويمارسوها في واقع حياتهم، لاسيما في أخص أمور حياتهم كأفراد، يقول تعالى: ((فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ...))[٤].

---

[١] المودودي، أبو الأعلى، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد إدريس، مكتبة المختار الاسلامي، القاهرة، د.ت، ص ٩٤

[٢] الشورى (٣٨)

[٣] قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢١٦٠

[٤] البقرة (٢٣٣)

وذكر لنا القرآن الكريم قصة بلقيس ملكة سبأ، أنه لما جاءها كتاب سليمان عليه الصلاة والسلام، لتسلم لله تعالى رب العالمين، لم تنفرد برأيها في الرد وإنما استشارت الملأ من قومها من أصحاب الرأي، يقول تعالى مسجلا ذلك: ((قالتْ يَا أيُّهَا المَلأ أفتُوني في أمْري مَا كُنْتُ قاطِعَة أمْرا حَتَّى تَشْهَدُون))[1]. فإذا كانت هذه المرأة الكافرة تقول: أشيروا علي أيها القوم فلن أمضي في اتخاذ قرار حتى تدلوا برأيكم وتشيروا علي كما عودتكم، فأولى بمن فرض الله عليهم الشورى وجعلها من صفاتهم أن يستشيروا .

وإن المتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، يجد أنها قد حفلت بممارسات عملية في الشورى، وكثرت المواقف التي طلب فيها من المسلمين إعطاءه الرأي، فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا أشد الحرص على ذلك، وفيما يلي نوجز بعض الشواهد على ذلك:-

١- عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر وعمر: إن الناس ليزيدهم حرصا على الإسلام أن يروا عليك زيا حسنا من الدنيا، فقال: ((وأيم الله لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما))[2].

٢- مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر حول صلاحية أرض المعركة وموقع النزال عسكريا، فأشار عليه الحباب بن المنذر -رضي الله عنه-، ومشاورته بعد انتهاء المعركة في مصير أسرى المشركين[3] .

٣- شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم. فلم يمل إليهم بعد العزم وقال: ((لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله))[4].

٤- شاور النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ[5].

هذه جملة من أحداث تدل على مدى عناية الرسول بالشورى ومدى التزامه بها في كل أمور المسلمين، وحث الأمة على التشاور وأرشد إلى أنها خير، فالتشاور أمر مشروع وفيه كل الخير للأمة.

---

[1] النمل (٣٢)

[2] رواه الأمام أحمد في مسنده، ج٤، ص٢٢٧

[3] ابن هشام،عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٥٢م، ج٢، ص٢٧٢

[4] سيرة ابن هشام، ج٣، ص٦٧-٦٨

[5] سيرة ابن هشام، ج٣، ص٢٣٤-٢٤٣

وقد مارس الصحابة رضوان الله عليهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشورى في حياتهم، بل إن مسألة الشورى ومشروعيتها قام عليها إجماع الصحابة، فأول عمل قام به المسلمون بعد وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم هو انتخاب ومبايعة رئيس للدولة الإسلامية في السقيفة عن طريق الشورى، حتى إن ذلك اليوم سمي بيوم الشورى[1]. وأول عمل قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو مشاورته للصحابة في أمر المرتدين الذين امتنعوا عن أداء الزكاة.

وفي سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه الكثير من الشواهد على تفعيله لمبدأ الشورى في حكمه، وحرصه الشديد على ممارسة هذا النشاط السياسي العام في الحياة الإسلامية ومن أقواله: (إن من بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه)[2].

وهكذا كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس مشاورة في الأمور، التزاما بما جاء في الكتاب والسنة، وإن كثرة ممارستهم للشورى ليدل على ضرورة هذا النشاط السياسي لسيرة الحياة الإسلامية في الحكم سيرا شرعيا، ضمن المنهج الذي رسمه الإسلام للأمة الإسلامية.

حكم الشورى:

الشورى في الإسلام ليست من الأمور التنفلية التي تترك لرغبة الحاكم، بل هي واجبة على كل حاكم أو مسؤول أو أمير. لا يحل له تركها أو الأخذ برأيه دون مشاورة للمسلمين، كما أنه لا يحل للمسلمين أن يتنازلوا عن حقهم في إعطاء الشورى للحاكم، بل الشرع يفرض على الأمة أن تطالب بذلك، وهو الراي الراجح بين الفقهاء[3].

وهذا الحكم مستنبط من قوله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))[4].

---

[1] سيرة ابن هشام، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦

[2] سيرة ابن هشام، ج٣، ص٢٢٦

[3] انظر، أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، ص٨٠-٩٢، وعودة، عبدالقادر، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ط٢، ١٩٦٧م، ص١٢٠-١٢١ وأبو عيد، نظام الحكم في الإسلام، ص٢٣٨-٢٣٩، بسيوني، حسن السيد، الدولة ونظام الحكم في الإسلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٧٨

[4] آل عمران (١٥٩)

ووجه الاستدلال أن كلمة (شاورهم) أمر، والأمر يدل على الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه من الإيجاب إلى الندب، وإذا كانت المشاورة واجبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكم الدولة الإسلامية فإنها من باب أولى أوجب في غيره من الولاة و الأمراء.

يقول ابن عطية: (والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب)[1].

وفي الآية الثانية: جعلت الشورى وصفا لازما للمؤمنين بقوله تعالى: ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))[2].

كما أن الشورى جاءت متوسطة بين صفة الاستجابة لله وإقامة الصلاة وبين الإنفاق في سبيل الله، وذلك كله من فرائض الإسلام الواجبة، فدل ذلك على أن حكمها كحكم الاستجابة وإقامة الصلاة والإنفاق، كما أننا نلمس الإيحاء بأن الإيمان الكامل لا يتحقق بغيرها.

يقول الشهيد سيد -رحمه الله تعالى- في الظلال: (يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه)[3].

ويقول: (كان الإسلام ينشئ أمة ويربيها ويعدها للقيادة الراشدة، فلم يكن بد أن يحقق لهذه الأمة رشدها ويرفع عنها الوصاية في حركات حياتها العملية الواقعية كي تدرب عليها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبإشرافه، ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى ... ويحل للقيادة أن تستقل بالأمر ... لو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشؤون؛ لكان وجود محمد صلى الله عليه وسلم ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافيا لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى ... ومن هنا جاء الأمر الإلهي ليقرر المبدأ في مواجهة خطر الأخطار، وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة ... وليسقط الحجة الواهية التي تثار حول هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة، كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة، ولو كان هو انقسام الصف ... لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق)[4].

---

[1] أبو عبدالله، محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ج٤، ص٢٤٩ -- انظر لتفسير قوله تعالى ((وشاورهم في الأمر))

[2] الشورى (٣٨)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٠١

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٠٢، بتصرف شديد

ومن خلال كلام الشهيد يظهر جليا أن الشورى حق وواجب معا، حق يطالب به الشعب أو أهل الحل والعقد فيه بالإنابة عنه، وواجب على ولي الأمر ينبغي ألا يقصر في أدائه.

وأخيرا أورد قول حجة الإسلام أحمد بن علي الجصاص، والذي يرد فيه على من قال بأن الشورى غير واجبة فيقول: (وغير جائز أن يكون الأمر بالمشاورة على جهة تطييب النفوس للصحابة، ورفع أقدارهم ... لأنه لو كان معلوما عند المستشارين أنهم إذا استفرغوا جهدهم في استنباط الحكم الذي يستشارون فيه، لم يكن معمولا به، ولا يتلقى بالقبول، فلم يكن في ذلك تطييب نفوسهم ولا رفع أقدارهم، بل فيه إيحاشهم وإعلامهم بأن آرائهم غير مقبولة ولا معمول بها، فهذا تأويل ساقط لا معنى له ...)[1].

ولقد جاءت الأحاديث الكثيرة وتضافرت الروايات التي تقرر أن الشورى قاعدة ومبدأ من قواعد الحكم في الإسلام، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لأصحابه،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم))[2].وهذا مما يؤكد هذا الحكم المقرر في دين الإسلام .

إلزامية الشورى:-

بعد أن علمنا أن الشورى واجبة في نظام الحكم الإسلامي، ثبت وجوبها بنصوص القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، نصل إلى موضوع ثار حوله جدل كثير ويتعلق بما إذا كانت الشورى ملزمة للحاكم، بمعنى أنه إذا ما توصل أهل الشورى إلى رأي محدد، هل يتعين على الحاكم أن يأخذ به أم له الخيار في ذلك ؟[3]

ولا أريد حقيقة أن أتطرق إلى أمور فقهية عميقة قد لا يكون هنا مجال الإفاضة فيها، إلا أنه يلزم أن أدلل على الرأي الذي أستحسنه وأرى فيه أن الشورى ملزمة للحاكم واجبة على المحكومين:

أولا: جاء الإخبار عن الشورى في قوله تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم)) بين ركنين من أركان الإسلام الصلاة التي لا يتم إسلام المرء بدونها، والزكاة التي يكتمل الإيمان بها، ومن ثم

---

[1] الجصاص،احمد بن علي، أحكام القرآن،دار إحياء التراث العربي،١٩٨٥م، ج٢، ص٣٣٠

[2] العسقلاني، ابن حجر،فتح الباري في شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٨٠هـ،ج٥، ص٣٣٤، رقم ٢٥٨١

[3] انظر الخالدي، محمود ، قواعد نظام الحكم في الإسلام، مكتبة المحتسب، عمان، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٥٩؛ سعيود، عبد العي عبدالله، نظرية الدولة في الإسلام،منشأة المعارف،الإسكندرية، ١٩٩١م، ص١٣٠-١٣٥؛ العوا، محمد سليم، النظام السياسي للدولة الإسلامية، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط٦، ١٩٨٢، ص١٨٥-٢٠٢ / أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، ص٩٣، ص١٠٥

لابد وأن ينسحب على الشورى نفس مواصفات الإلزام والجبر، وحاشا لله أن يذكر لنا في كتابه الكريم من الآيات مالا يتسق مع بعضه، مما يجعلنا نذهب إلى الالتزام بها نصا وروحا.

ثانيا: السنة هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وعلينا أن نأخذ بها استجابة لقوله تعالى: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ))[1]. وقوله: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[2]. وإذا كان الأمر كذلك، فقد جاء الأمر صريحا من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ((وشاورهم في الأمر))[3]. على الرغم مما شاب موقف المسلمين آنذاك من مرارة وخطورة في معركة أحد.

ويطيب لي هنا أن أسجل كلاما للشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- حول هذه الآية حيث يقول: (لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد، فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصف المسلم، اختلفت الآراء فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها ... وتحمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين ... ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج التي رآها والتي يعرف مدى صدقها ... وكان من حقه أن يلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة للشورى ولكنه على الرغم من ذلك أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة أكبر من الخسائر الوقتية .

ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى بعد المعركة أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، ولكن الإسلام كان ينشئ أمة ويربيها ويعدها للقيادة وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى وأن تدرب على حملة التبعية وأن تخطئ ... لتعرف كيف تصحح خطأها وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ والخسائر لا تهم ! إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة المقدرة للتبعة ... إن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ في عزم وحسم وفي توكل على الله، يصل الأمر بقدر الله، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء ... حتى حين أتيحت هذه الفرصة لم ينتهزها ليرجع

---

[1] المائدة (٩٢)

[2] الحشر (٧)

[3] آل عمران (١٠٤)

لأنه أراد أن يعلمهم الدرس كله، درس الشورى ثم العزم والمضي مع التوكل على الله والاستسلام لقدره، وأن يعلمهم أن للشورى وقتها، لا مجال بعدها للتردد والتأرجح ومعاودة التقليب للرأي من جديد، فهذا ماله الشلل والسلبية والتأرجح الذي لا ينتهي إنما هو رأي وشورى وعزم ومضـــاء، وتوكل على الله، يحبه الله)[1].

ومن خلال كلام الشهيد حول تفسير الآية يتضح لنا جليا أن النبي صلى الله عليه وسـلم قـد التزم بمبدأ الشورى نصا وروحا في غزوة أحد، وأخذ برأي أصحابـــه فـــي الخـــروج لملاقـاة المشركين، حتى عندما سنحت له فرصة العودة عن رأي من قال بالخروج، إلا انه أراد أن يعلـم أصحابه أن التردد والتأرجح والعودة عن الرأي المختار بعد العزم ضرره أكبر من نفعه، وفـــي ذلك دلالة واضحة على ضرورة التزام رأي الأكثرية ولو خالف رأي الحاكم أو رأي غيره مـــن أولي الرأي.

يقول عبد القادر عودة: (والواقع أن الشورى لن يكون لها معنى إذا لم يؤخذ برأي الأكثريـة، ووجوب الشورى على الأمة الإسلامية يقتضي التزام رأي الأكثرية ... وليس للأقلية أن تنـاقش من جديد رأيا اجتاز دور المناقشة أو تناقش في رأي وضع موضع التنفيذ، وتلك سنة رسـول الله التي سنها للناس والتي يجب على كل مسلم اتباعها)[2].

وإلى مثل ذلك ذهب المودودي حيث يقول: (إن قاعدة وأمرهم شورى بينهم تتطلـب بذاتـها خمسة أمور: ... خامسها التسليم بما يجمع عليه أهل الشورى أو أكثريتهم أما أن يسـتمع ولـي الأمر إلى آراء جميع أهل الشورى ثم يختار هو نفسه بحرية تامة، فإن الشورى في هذه الحالـة تفقد معناها وقيمتها، فالله لم يقل: تؤخذ آراؤهم ومشورتهم في أمورهم وإنما قال وأمرهم شـورى بينهم، وتصديق هذا القول الإلهي لا يتم بأخذ الرأي فقط، وإنما من الضروري لتنفيذه وتطبيقه أن تجري الأمور وفق ما يتقرر بالإجماع أو بالأكثرية)[3].

وأخيرا أسجل قولا للشيخ محمد الغزالي حول إلزامية الأخذ برأي الأكثرية في الشورى.

يقول: (إن الأمر ليس عبثا صبيانيا تستشير الناس ثم تأخذ رأيا بعد ذلك لا تلتفت فيه إلى آراء الناس، إن الشورى التي لا تلزم من يتخذونها شورى لا قيمة لها، وهي نوع من العبث أو اللعب، والشورى الناقصة شورى مرفوضة)[4].

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٠١-٥٠٣، بتصرف

[2] عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص١٦٢-١٦٣، بتصرف شديد

[3] المودودي، الحكومة الإسلامية، ص٩٤

[4] الغزالي، محمد ، مبدأ الشورى في الإسلام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٧

أما عن كيفية الشورى فلم يرد نص في كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم يبين لنا كيفية ممارسة الشورى والالتزام بهذه الكيفية، وهذا من ميزات هذا الدين الخالد، الذي لم يلزم الأمة بأسلوب معين، قد يكون صالحا في زمن وغير صالح في زمن آخر، مما يلحق الحرج بالأمة وهو ما يقصد بمرونة الإسلام .

يقول الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- حول ذلك: (أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوبا في قالب حديدي، حيث هو قد ترك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان، لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية، والنظم الإسلامية كلها ليست أشكالا جامدة وليست نصوصا حرفية، وإنما هي قبل كل شيء روح ينشأ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب ... والبحث في أشكال الأنظمة الإسلامية دون الاهتمام بحقيقة الإيمان الكامنة ورائها لا يؤدي إلى شيء ... فهذه العقيدة ... تحوي حقائق نفسية وعقلية هي في ذاتها شيء له وجود وفاعلية وأثر في الكيان البشري يهيئ لإفراز أشكال معينة من النظم وأوضاع معينة في الحياة البشرية، ثم تجيء النصوص بعد ذلك مشيرة إلى هذه الأشكال والأوضاع، لمجرد تنظيمها لا لخلقها وإنشائها، ولكي يقوم أي شكل من أشكال النظم الإسلامية لابد قبلها من وجود مسلمين، ومن وجود إيمان ذي فاعلية وأثر، وإلا فكل الأشكال التنظيمية لا تفي بالحاجة، ولا تحقق نظاما يصح وصفه بأنه إسلامي .. ومتى وجد المسلمون حقا، ووجد الإيمان في قلوبهم بحقيقته نشأ النظام الإسلامي نشأة ذاتية، وقامت صورة منه تناسب هؤلاء المسلمين وبيئتهم وأحوالهم كلها، وتحقق المبادئ الإسلامية الكلية خير تحقيق)[1]

من ذلك كله يتبين أن الشورى قاعدة من قواعد الإسلام الأساسية في المجال السياسي ثبتت حجيتها في الكتاب والسنة، وأن تشريع الإسلام في معالجته إياها قد جاء من العموم والمرونة بحيث يسمح للأمة الإسلامية أن تختار للقيام بواجب الشورى، الشكل الذي يلائم الأوضاع المختلفة في الأزمنة والأمكنة المختلفة، وكما أوضح الشهيد في كلامه فإن أي نظام من النظم لا نستطيع أن نعطيه الصبغة الإسلامية إلا إذا وجد المجتمع الإسلامي الذي لديه رصيد من الإيمان المستقر في القلب، والذي سيكون له أثر وفاعلية في الشعور والسلوك، فمتى كان ذلك فإن النظام الإسلامي بمبادئه ومجالاته المختلفة سينشأ ذاتيا دون عراقيل أو عقبات .

بين الشورى والديمقراطية:

بعد أن عرضنا لمبدأ الشورى كأحد المبادئ الدستورية الأساسية التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، أجد لزاما أن أوضح الفارق بين الشورى كمبدأ إسلامي عام وبين الديمقراطية التي

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٣١٦٥-٣١٦٦

تعتبر قمة ما وصل إليه الفكر السياسي الغربي، لاسيما وأننا نجد عددا من المفكرين قد عدوا الديمقراطية من الأحكام الشرعية[1].

وفيما يأتي سيتم التوضيح لبيان الفوارق الجوهرية بين الشورى كمبدأ ونظام رباني في التشريع السياسي، والديمقراطية بصفتها فكرا سياسيا بشريا .

تقوم الفلسفة الديمقراطية على أساس فصل الدين عن الحياة، والإنسان بذلك هو الذي يضع نظامه بنفسه عن طريق عقله، والديمقراطية تعني حق الشعب المطلق في التشريع[2]، ولذلك كانت الأمة هي مصدر السلطات، فهي التي تضع الأنظمة وتسن القوانين وبيدها وضع الحاكم الذي تريد وخلعه من هذا الحكم متى أرادت ولما كان الأمر يستحيل اجتماع كل الشعب، كان لزاما أن يتم اختيار نواب عن الشعب ليمثل الإرادة العامة للشعب ويجسدها في واقعها السياسي .

والديمقراطية بذلك تتمثل في حكم الأكثرية أو الأغلبية المنتخبة في مجلس الأمة، فهي الجهة التي تملك حق إصدار الأحكام وسن القوانين والتغيير والتبديل، وليس هناك ما يحول دون رأي الأغلبية فهو ذات مصونة معصومة، فلا سلطة فوق سلطتها[3]، ولا مجال للطعن أو الرد لقوانينها وأحكامها، والمرجعية الوحيدة لذلك هو العقل، فما يراه العقل صوابا فهو الصواب، وما يراه نافعا وخيرا فهو كذلك، ولا اعتبار إذا ما وقع تناقض بين التشريعات، ولذلك نجد أن القانون يجد أن اللواط أو الربا محرم ويجب عليه العقاب، وبعد فترة نجد أن الرأي يجد أن اللواط مباحا لأنه يكفل مزيدا من الحريات الشخصية، وكذلك الربا إذا ما وجد أنه يحقق منفعة اقتصادية معينة للأفراد، فيستحق فاعله التشجيع والاحترام بدلا من العقوبة في المرحلة السابقة، وقس على ذلك الزنا والخمر ... الخ .

هذه هي خلاصة الديمقراطية التي وصلت إليها أوروبا وأمريكا وكثير من شعوب العالم والتي يعدها الكثير مكسبا عظيما عند الغرب، وجعلها مادة من مواد القانون والدستور للدولة في كثير من بلاد العرب والمسلمين[4] .

---

[1] انظر: العقاد، عباس محمود، الديمقراطية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٥١ / أرسلان، شكيب، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ج١، ص٢٤٠ / الريس، محمد ضياء، النظريات السياسية، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٠م، ص٣٣٨

[2] الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، ص٤١، العمري، أحمد، السياسة والحكم، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د.ت، ص١٣٤

[3] الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، ص٤٠-٤٣

[4] الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، ص٥٨

إن مبدأ الديمقراطية بمفهومه ذلك يصطدم بمبدأ الإسلام القائم على أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع الأول، وأن الناس متلقون لهذه التشريعات ومطالبون بتنفيذها، وليس لهم أن يشرعوا أو يصوغوا القوانين أو يضعوا لأنفسهم دستورا من وحي العقل أو الهوى، لأن في ذلك اعتداء على حاكمية الله ومخالفة لأمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم [1].

إن حكم الشعب لنفسه والمفروض فيه أن يكون ضمن إجماع شعبي أمر مستحيل، وإن كان ذلك يتم الآن عن طريق اختيار للمجالس النيابية، فالغالبية في المجالس النيابية أصبح يستحوذ عليها الحزب الحاكم، ولم يعد هناك مجال للمخالفة .

لقد أصبحت الديمقراطية وسيلة من وسائل تلهية الشعوب وإشغالها من أجل استبداد جماعة ما بالحكم دون تحقيق القدر الكافي من الحرية في هذا النظام الرأسمالي، أما الإسلام فقد حقق الحرية وكفلها للجميع واستطاع بنظامه (الشورى) أن يحقق فضائل النفس البشرية من الخير والعدل والحق، ولنا في سنة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه خير دليل وشاهد[1] .

أن الحرية في الإسلام ليست حكما سياسيا فحسب، وليست جزءا من شريعة الإسلام بل هي ركن من العقيدة الإسلامية، ففي الوقت الذي يقرر الإسلام فيها وحدانية الله، ويطالب الأفراد ألا تذل جباههم إلا للخالق سبحانه وتعالى فهو يحررهم من العبودية لأي مخلوق ولأي فكرة ولأي جماعة ... وهنالك فرق آخر بين ميزان الشورى وميزان الديمقراطية، وهو النظرة إلى المسؤولية، ففي الديمقراطية تظل المسؤوليات والصلاحيات أمرا يقدره كله الشعب، ولذلك تنبع المسؤوليات والصلاحيات من جهد بشري محض ، ومن تجربة بشرية معزولة عن قواعد الإيمان وأسس العقيدة، أما الإسلام فإن الصلاحيات والمسؤوليات ومنزلة المسؤول وحدوده ومكانته، تنبع كلها من ميزان الإيمان بالله واليوم الآخر،من منهاج رباني متكامل، حدد القواعد و الأسس والصلاحيات والمسؤوليات.

وأخيرا فالفرق الجوهري بين الشورى والديمقراطية وهو أثر القوانين والتشريعات في نفوس من يطبقها، وقوة هذه القوانين وسلطانها على أصحابها؛ يقول الشهيد حول ذلك: (إنه ليس المهم أن تقال توجيهات وأن تبتدع مناهج، وأن تقام أنظمة، إنما المهم هو السلطان الذي ترتكن إليه تلك التوجيهات والمناهج والأنظمة، السلطان الذي تستمد منه قوتها ونفاذها وفاعليتها في نفوس البشر، وشتان ما بين توجيهات ومناهج ونظم يتلقاها البشر من الله ذي الجلال والسلطان، وتوجيهات ومناهج ونظم يتلقونها من العبيد أمثالهم من البشر! ذلك على فرض تساوي هذه وتلك في كل

---

[1] يرجع الى مبدأ الحاكمية في هذا البحث

صفة أخرى وفي كل سمة، وبلوغها معا أوجا واحدا وهو فرض ظاهر الاستحالة، إلا أنه ليكفي أن أشعر ممن صدرت هذه الكلمة، لأعطيها في نفسي ما تستحقه من مكان ... ولتفعل في نفسي ما تفعله كلمة الله العلي الأعلى. أو كلمة الإنسان ابن الإنسان)[2] .

---

[1] انظر: المرصفي، محمد علي، من المبادئ التربوية في الإسلام، عالم المعرفة، جدة، د.ت، ص٥٦-٥٨ بتصرف و النحوي، عدنان، الشورى لا الديمقراطية، دار النحوي، الرياض، ط٤، ١٩٩٢م، ص٥٥-٨٩

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٦٨

الجوانب التربوية من خلال شيوع الشورى:

إن الشورى حين تسود المجتمع الإسلامي تجعل الأفراد يشعرون بإنسانيتهم ويحققون ذواتهم من خلال ممارستهم هذا الحق الذي اقره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالشورى مدرسة تربوية للامة الإسلامية فهي تربي أفرادها على الحرية في الرأي والشجاعة في القول فتحفظ بذلك هويتها من الضياع وشخصيتها من الانصهار وهي تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم وتوصد الأبواب أمام التنازع والأحقاد والتدابر والتشاحن وتكون بذلك صمام الأمان و أساس الاستقرار والحاجز القوي ضد الفتن والثورات .

والشورى تدرب المستشار على المساهمة في الحكم وتزوده بالتجربة وجودة الرأي والفكر وهي حين تعم الحياة الإسلامية بجوانبها كافة تنتج الأمة المتحضرة والمتفوقة على غيرها والإسلام احترم العقل الإنساني ودعا صاحبه إلى التأمل والتدبر في الكون والحياة، ومزاولة الشورى تعني تكريم هذا العقل الإنساني والعناية به وإلغاء الشورى إلغاء لدور العقل وهدر لكرامة الإنسان وقتل لكل إبداع يستطيع الإنسان أن يهتدي إليه.

ومن خلال شيوع الشورى تبرز الكفاءات والقدرات المختلفة في المجتمع ويتعرف الناس عليها فيستفيد منها المجتمع وتوصل الأمة إلى النجاح وذلك من خلال أنها مظهر من مظاهر التخطيط.

المبحث الثالث: مبدأ العدل

لعل المكانة التي جعلها الإسلام في تشريعه للعدل لم تجعلها له أية شريعة سابقة، ولم يبلغ مثلها مكان العدل في أي نظام قانوني قديم أو حديث، فالعدل أصل من أصول الإسلام، جاء به القرآن الكريم وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وقامت الدولة الإسلامية عليه ضمن دستورها الإلهي. وقد وردت كلمة (العدل) في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا، وجاء مرادفها (القسط) في ثلاثة وعشرين مرة، وحفلت السنة النبوية المطهرة بالأحاديث التي تحض على العدل وتبين ثوابه، وتنهى عن الظلم وتبين عقابه، حتى أصبح العدل ميزة الأمة الإسلامية ودولتها هي دولة العدل .

والعدل في الإسلام ليس بمبدأ أخلاقي وفضيلة من الفضائل وحسب، بل هو جزء لا يتجزأ من الشرع والدين، فحيث يكون العدل يكون الشرع وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله -: (إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسماوات فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر بوجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه)[1] . والعدل في الإسلام يبلغ في ميزان الله تعالى أن يكون قرين التوحيد، والظلم في شريعة الله يبلغ أن يكون قرين الشرك، ولذلك كان الظلم مسقطا كل شرعية عن أي نظام وإن صلى صاحبه وزعم أنه مسلم. يقول تعالى: ((وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ))[2]. إن الله تعالى هو العدل وقد نزلت كلماته وشرائعه صدقا وعدلا، (تمت كلمة الله سبحانه صدقا فيما قال وقرر، وعدلا فيما شرع وحكم، فلم يبق بعد ذلك قول لقائل في عقيدة أو تصور أو اصل او مبدأ أو قيمة أو ميزان ...)[3] يقول تعالى: ((وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))[4]. لقد جعل الإسلام (للعدل) أهمية بالغة وليس أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم الكثيرة التي تحض عليه وتأمر به، أمرا مجملا شاملا للشؤون كلها، وأمرا مفصلا خاصا ببعض الأمور التي يتوقع فيها الحيف والظلم. فمن آيات الله تعالى التي جاء بها الأمر بالعدل على وجه العموم والإطلاق، قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ص١٩

[2] الشورى (١٥)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١١٩٥

[4] سورة الأنعام (١١٥)

الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[1]. وقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً))[2]. وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الآيات الكريمة يقتصر نطاقها على التطبيق في مجال القضاء والحكم في المنازعات وحسب، غير أن ما ذهب إليه جماهير المفسرين على عكس من ذلك ؛ إذ أنهم يقررون أن (المراد من الحكم في هذه الآية هو: ما كان عن ولاية عامة أو خاصة)[3].

(لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا ... جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، إنما العقيدة هي الأصرة والرابطة ... ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات واطمئنان الأفراد ... فجاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد وجماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا يمثل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض ... إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع وتزن بميزان واحد للجميع ...)[4].

وبذلك كان تشريع الله تعالى للعدل غير مقتصر على ميدان القضاء فحسب، بل يشمل مختلف صور العدالة في سائر المعاملات وشتى ميادين الحكم والإدارة ومجالات الحياة المختلفة .

والمتأمل لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً))[5].

يلحظ أن هذا الدين الحنيف الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم قد أمر بالعدل في حق جميع الأجناس، فقوله (الناس) جاء شاملا للجميع ولم يقصره على فئة دون فئة، وقد أظهر هذا الفهم الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- في تفسيره للآية بقوله: (فأما الحكم بالعدل بين (الناس) فالنص يطلق هكذا عدلا شاملا (بين الناس) جميعا، لا عدلا بين المسلمين بعضهم ببعض فحسب، ولا عدلا مع أهل الكتاب دون سائر الناس وإنما هو حق لكل إنسان بصفته (إنسانا) فهذه الصفة هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر

---

[1] النحل (٩٠)

[2] النساء (٥٨)

[3] المطيعي، محمد بخيت، حقيقة الإسلام وأصول الحكم، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ص٣٧-٣٨

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٩٠

[5] النساء (٥٨)

جميعا: مؤمنين وكفارا، أصدقاء وأعداء، سودا وبيضا، عربا وعجما ... وذلك هو أساس الحكم في الإسلام...)[1].

وقد قرن الله تعالى الحكم بالعدل مع أداء الأمانات إلى أهلها وعدم خيانتها، وجعل كل ذلك أمرا واجبا على الأمة الإسلامية وهذا هو خلقها كما هو وظيفتها. (والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى الأمانة التي أناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة ... وهذه أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي الأمانات.ومن هذه الأمانة الكبرى تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى، ومن هذه الأمانات: أمانة الشهادة لهذا الدين ... الشهادة له في النفس **أولا بمجاهدة النفس** حتى تكون ترجمة له ترجمة حية في شعورها وسلوكها ... فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون ... والشهادة له بدعوة الناس إليه وبيان فضله وميزته ... فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه إذا هو لم يدع إليها الناس كذلك وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان ... **ثم الشهادة لهذا الدين** بمحاولة إقراره في الأرض منهجا للجماعة المؤمنة وللبشرية جميعا ... فإقرار هذا المنهج في حياة البشر هو كبرى الأمانات بعد الإيمان الذاتي، ولا يعفى من هذه الأمانة الأخيرة فرد ولا جماعة ... ومن هذه الأمانات ... **أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم أمانة المعاملات والودائع المادية وأمانة النصيحة للراعي وللرعية وأمانة القيام على الأطفال الناشئة وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها وثغراتها** ...)[2].

ومن خلال كلام الشهيد سيد -رحمه الله تعالى- السابق يتضح لنا أن العدل والأمانة صفتين متلازمتين فالأمانات التي أوردها في تفسيره هي:-

١) أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله (أمانة الفطرة) فإذا لم يؤديها فهو غير عادل مع نفسه بسبب طمسه لهذه الفطرة التي تتعرف إلى خالقها بنفسها، وغير عادل مع ربه الذي أخذ عليه العهد بالإيمان .

٢) أمانة حقيقة هذا الإيمان في النفس البشرية بتغيير سلوكها وشعورها تطبيقا على أرض الواقع فترتفع بخلقه وتسمو بنفسه، وإذا لم يكن كذلك فهو غير عادل، لعدم تذوقه لطيب هذا الإيمان وحلاوته وحرمان نفسه لذلك .

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٨٩

[2] قطب في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٨٨-٦٨٩

٣) أمانة تبليغ الدعوة إلى الناس، بتبليغ هذا الدين الذي كان خاتم الأديان وإذا لم يفعل، فهو غير عادل مع البشرية جمعاء بكتمانه لهذا الدين .

٤) أمانة إقرار هذا الدين في الأرض كمنهج حياة والعمل على ذلك بكل ما أوتي من وسيلة وقوة لأن هذا هو الهدف والغاية، فإذا لم يفعل كان الظلم والفساد، ولم يبق للعدل مكان .

٥) أمانة المعاملات بين الناس على اختلاف مراكزهم: حاكما ومحكوما، غنيا وفقيرا، عربا وعجما، مؤمنين وكفارا ... ولابد حتى تؤدى هذه الأمانة من العدل في الفصل فيها حتى يتحقق أمر الله تعالى .

ومن الآيات الكريمة التي جاء به أمر العدل مفصلا خاصا ببعض الأمور التي يتوقع فيه الحيف والظلم قوله تعالى: ((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا))[1] .

ففي هذه الآية العدل المطلوب هو **العدل في المعاملة مع الزوجات في النفقة والمعاشرة والمباشرة**، وجعل العدل قيد لحماية الحياة الزوجية من الفوضى والاختلال، وحماية للزوجة من الجور والظلم، وحماية لكرامة المرأة من أن تتعرض للمهانة .

وفي قوله تعالى: ((وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا))[2] .

فهو **العدل في المشاعر والأحاسيس**، فهو غير مطالب به أحد من بني البشر لأنه خارج عن إرادته، فالقلوب ليست ملكا لأصحابها إنما هي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم: ((اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك))[3]. فهو يعدل في قسمته بين نسائه فيما يملك، ولا ينكر أنه يؤثر بعضهن على بعض وأن هذا خارج عما يملك .

يقول الشهيد في الظلال حول هذه الآية: (إن الله الذي فطر النفس البشرية يعلم من فطرتها أنها ذات ميول لا تملكها ومن ثم أعطاها لهذه الميل خطاما، لينظم حركتها فقط لا ليعدمها ويقتلها. ومن هذه الميول أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات ... فيكون ميله إليها أكثر من الأخريات وهذا ميل لا حيلة له فيه ... إن الإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه ولا يجعل هذا إثما يعاقبه عليه ... بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين الناس ... لأن الأمر

---

[1] النساء (٣)

[2] النساء (١٢٩)

[3] أخرجه ابو داوود ،كتاب:النكاح، باب:القسم بين النساء، رقم(١٨٢٢)

خارج عن إرادتهم ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم، هناك العدل في المعاملة العدل في القسمة، العدل في النفقة، العدل في الحقوق الزوجية كلها، حتى الابتسامة في الوجه والكلمة الطيبة باللسان ... وهذا ما هم مطالبون به هذا هو الخطام الذي يقود ذلك الميل، لينظمه لا ليقتله)[1].

والعدل في النظام الإسلامي لا يقتصر على المؤمنين فيما بينهم، ولكنه يتعدى ذلك كله ليشمل العدل بين البشر على اختلاف مللهم ونحلهم، بل قد بلغ حد أعداء هذا الدين الكارهين له والكائدين له.

يقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))[2].

يقول صاحب الظلال (لقد نهى الله الذين آمنوا من قبل أن يحملهم الشنآن لمن صدوهم عن المسجد الحرام على الاعتداء، وكانت هذه قمة في ضبط النفس والسماحة يرفعهم الله إليها بمنهجه التربوي القويم. فها هم أولا ينهون أن يحملهم الشنآن على أن يميلوا عن العدل ... وهي قمة أعلى مرتقى وأصعب على النفس وأشق، فهي مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده تتجاوزه إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض، إن التكليف الأول أيسر لأنه إجراء سلبي ينتهي عند الكف عن الاعتداء، فأما التكليف الثاني فاشق لأنه إجراء إيجابي يحمل النفس على مباشرة العدل والقسط مع المبغوضين المشنوئين كما يكفله لهم هذا الدين حين ينادي المؤمنين أن يقوموا لله في هذا الأمر وأن يتعاملوا معه، متجردين عن كل اعتبار ... وبهذه المقومات في هذا الدين كان الدين العالمي الإنساني الأخير، الذي يتكفل نظامه للناس جميعا معتنقيه وغير معتنقيه أن يتمتعوا في ظله بالعدل، وأن يكون هذا العدل فريضة على معتنقيه، يتعاملون فيها مع ربهم، مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن)[3].

ولم يقف الإسلام في عدله عند هذا الحد، بل تعداه إلى تلك الفئة التي ما فتئت تحارب هذا الدين منذ ظهوره حتى وقتنا الحاضر ألا وهم اليهود أصحاب المكائد والخبث والمكر، وأنزل الله بذلك قرآنا يتلى في حق أحدهم ليبرئه من تهمة لم يرتكبها، ويظهر فيها جليا العدل في الإسلام بأنصع صورة، وبصورة لم يعرفها التاريخ -على الإطلاق- وساكتفي بنقل كلام الشهيد حول هذه القصة التي وردت معالمها في سورة النساء - في قوله تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)) (الآيات ١٠٥- ١١٣).

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٧٠

[2] المائدة (٨)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٨٥٢

:(هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيرا ولا تعرف لها البشرية شبيها ... إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة التي تحويها جعبتهم اللئيمة على الإسلام والمسلمين ... كانت هذه الآيات كلها تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة المسلمة لتنصف رجلا يهوديا اتهم ظلما بسرقة، ولتدين الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار في المدينة، والأنصار يومئذ هم عدة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجنده في مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة ...

إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام وإن كانت تبرئة بريء أمرا هائلا ثقيل في ميزان الله، إنما كانت أكبر من ذلك، كانت هي إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى ولا مع العصبية ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أيا كانت الملابسات والأحوال، وكانت المسألة هي تطهير هذا المجتمع الجديد وعلاج عناصر الضعف البشري فيه مع علاج رواسب الجاهلية والعصبية في كل صورها حتى في صورة العقيدة، إذا تعلق الأمر بإقامة العدل بين الناس وإقامة هذا المجتمع الجديد الفريد في تاريخ البشرية على القاعدة الطيبة النظيفة الصلبة المتينة التي لا تدنسها شوائب الهوى، ولا تتزجرج مع الأهواء والميول والشهوات.

ولقد كان هناك أكثر من سبب للإغضاء عن الحادث أو عدم التشديد فيه ... بل فضحه بين الناس على هذا النحو ... لو كانت الاعتبارات الأرضية هي التي تحكم وتتحكم، ولو كانت موازين البشر ومقاييسهم هي التي يرجع إليها **كان هناك سبب واضح** ... أن هذا المتهم يهودي من يهود التي لا تدع سهما مسموما تملكه إلا أطلقته في حرب الإسلام وأهله، يهود التي يذوق منها المسلمون الأمرين في هذه الحقبة، (ويشاء الله أن يكون ذلك في كل حقبة) ...

وكان هنا سبب آخر وهو: أن الأمر في الأنصار الذين أووا ونصروا ...

وكان هنالك سبب ثالث وهو: عدم إعطاء اليهود سهما جديدا يوجهونه إلى الأنصار وهو أن بعضهم يسرق بعضا ثم يتهمون اليهود، وهم لا يدعون هذه الفرصة تفلت للتشهير بها والتغرير...

ولكن الأمر كان أكبر من هذه الاعتبارات الصغيرة في حساب الإسلام، كان أمر تربية هذه الجماعة الجديدة لتنهض بتكاليفها في خلافة الأرض وفي قيادة البشرية ... وهي (لا تقوم بذلك) حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية، وحتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية، وحتى يمحص كيانها تمحيصا شديدا... وحتى يقام فيها ميزان العدل، لتحكم به بين الناس مجردا من جميع الاعتبارات الأرضية ... والملابسات التي يراها الناس شيئا كبيرا لا يقدرون على تجاهله ...

هنا كان الأمر جدا خالصا، لا يحتمل الدهان ولا التمويه وكان هذا الجد هو أمر هذا المنهج الرباني و أصوله، وأمر هذه الأمة التي تعد، لتنهض بهذا المنهج وتنشره وأمر العدل بين الناس،

العدل في هذا المستوى الذي لا يرتفع إليه الناس بل لا يعرفه الناس إلا بوحي من الله وعون من الله ...)[1].

وكما قرر الإسلام وجوب العدل في الحكم والمعاملة، فقد أوجب وألزم **العدل في القول** وجعل ذلك من العهد الواجب بالإيفاء، يقول تعالى: ((وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[2]. ولقد قرر الله تعالى إقامة العدل بالقوة لمن رفضها، وتكبر عن الوقوف عند حده يقول تعالى: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[3].

يقول الشهيد في تفسير هذه الآية: (هو يكلف الذين آمنوا ... أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين، فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله، وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه وأدى إلى الخصام والقتال، فإذا تم قبول البغاة لحكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلبا لرضاه)[4].

وفي قوله تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ))[5] إقرار لفرض العدل على الناس بالقوة، وهذه قاعدة عامة (العدل) في جميع الشرائع السماوية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون جميعا، وفي فهم هذه الآيات يقول ابن تيمية: (فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد)[6].

ومن هنا نقول: إذا كان الله تعالى قد قرر حرمة استخدام القوة في فرض الدين، فإنه قرر استخدامها لفرض العدل وتطبيقه على هذه الأرض، وفي حياة البشرية. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة أهمية العدل كمبدأ من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الدولة

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٥١-٧٥٣ بتصرف شديد

[2] الأنعام (١٥٢)

[3] الحجرات (٩)

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٤٣

[5] الحديد (٢٥)

[6] ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٢٦

الإسلامية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أول السبعة الذين يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله ((الإمام العادل))[1]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا))[2].

وسنته صلى الله عليه وسلم مليئة بالأدلة الشرعية الداعية إلى العدل قولا وعملا مطبقا على أرض الواقع. وقد انتهج الخلفاء الراشدون منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التزام العدل في كل حالة ومع جميع الناس لا فرق بين حاكم ومحكوم، مؤمن وذمي وكافر، حتى كان من ثمرات هذا العدل أن دخل الناس في دين الله أفواجا، وعاش غير المؤمنين في ظل الدولة الإسلامية مطمئنين على أموالهم وأنفسهم.

وبعد هذه الاستفاضة في قراءتنا لمبدأ العدل باعتباره أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام، فإننا نستطيع أن نقرر أن العدل في الإسلام لم يكن مجرد شعارا أو أحد المثل العليا الخيالية المفرغة من مضمونها، وإنما كان منهجا في عالم الواقع يؤدى ببساطة، وكان طابع الحياة اليومية التي يعيشها الناس على اختلاف منازلهم ومراتبهم وشعائرهم في الدولة الإسلامية لأنهم آمنوا بأن هذه المثل والمبادئ فريضة من الله تعالى، كما القوامة على البشرية هي فريضة من الله تعالى على الأمة الإسلامية .

وأختم حديثي هنا بنقل كلام للشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- وهو يتحدث عن الفرق بين العدل كمبدأ في النظام الإسلامي مستمد من التشريع الرباني وكشعار ينادى به في الدستور البشري الوضعي، حيث يقول تحت عنوان: عدالة الأرض ودم الشهيد حسن البنا: (قضية هذا الدم الزاكي لا تزال بين يدي القضاء ... توجه النظر إلى حقيقة عدالة الأرض وترفع البصر إلى عدالة السماء وتميز بين ما يصفه البشر من القانون وما يصفه الله من الشريعة ... هنا تبدوا عدالة الأرض قاصرة، ويبدو تشريع الأرض هزيلا ويبدو مشرعوا الأرض أقزاما، وهنا تبدو المسافة هائلة بين تشريع الله للبشرية وتشريع الإنسان ... ما جزاء ولي الأمر الذي يهدر دم الأبرياء الطاهر؟ لعل الحصانة الكاذبة لولاة الأمور أولئك هي التي قيدت يد ممثل الاتهام، فلم يستطع إليهم سبيلا ! فأي زيف تلك الدساتير التي تسبغ الحماية على المجرمين، وترفعهم فوق العدالة وفوق القانون ؟ وأي عجز في عدالة الأرض كلها وأي قصور ؟

---

[1] صحيح البخاري، كتاب : الأذان، باب : من جلس في المسجد ينتظر الأذان وفضل المساجد، رقم(٦٢٠)

[2] صحيح مسلم، كتاب : الإمارة، باب :فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق، رقم(٣٤٠٦)

إن عدالة الأرض هذه لتمنع محكمة النقض في مواطن كثيرة أن تحكم ببطلان الحكم الجائر ... هاها لعدالة الأرض التي ترى الحق واضحا ولكنها لا تملك الرجوع إليه، لأن الأمر خرج من يدها (محافظة على الإجراءات) !

أما عدالة السماء فتقول: إن الرجوع إلى الحق فضيلة ولا تمنع القاضي الذي يصدر الحكم ثم يتبين له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه، وأن يرتد إلى الحق لأن الحق أولى بالاتباع ...

إننا حين نطالب للإسلام أن يحكم، وحين نطلب لشريعته أن تكون مصدر التشريع .. إنما نطلب بشريعة ارقى، وباجراءات أدق، وبعدالة أكمل ...

إن شريعتنا التي تدعوكم إليها لا تغل يد القاضي عن العودة إلى الحق في أي وقت، وفي أي دور من أدوار المحاكمة، حتى بعد الحكم، له أن يعود إلى الحق الذي يراه .. إن شريعتنا لا تقف جامدة مشلولة أمام الظلم الواقع والعدل الضائع، لأنها تريد المحافظة على كرامة الإجراءات دون كرامة العدل والحق والقضاء ... إن شريعتنا لا تقف عاجزة أمام ملك، ولا رئيس جمهورية ... ولا وزير ولا كبير .. فحيثما كانت جريمة فشريعتنا حاضرة لردع المجرم كائنا منصبه ما كان .

إن شريعتنا لا تسمي القاتل ولا المحرض على القتل صاحب الجلالة، ولا تصون ذاته المقدسة ولا تصفه فوق القانون ...

لهذا نحن ندعوكم إلى تحكيم شريعة الإسلام لأنها شريعة أكثر تقدما وأوسع افقا، وأكثر مرونة... ولأن قانونكم الأرضي قاصر جامد متخلف لا يلبي داعي الزمن ولا يقتص لدماء الأبرياء ...)[1].

---

[1] قطب، دراسات إسلامية، ص٢٣١-٢٣٦ بتصرف شديد

الجوانب التربوية لتطبيق مبدأ العدل:

١- الحد من الأمراض الأخلاقية:

حين يكون العدل الأساس الذي يفصل بين الأفراد في معاملاتهم فان ذلك ولا ريب سيمنع الأمراض الأخلاقية والسلوكية كالحقد والظلم من الظهور والتفشي في المجتمع كما يقوم العدل بتهذيب وتدريب النفس البشرية على عدم الاعتداء على الغير فالكل سواء أمام القانون لا فرق فيه بين حاكم ومحكوم شريف أو ضعيف، الأمر الذي سيجعل الأمة غاية في التماسك والانتماء والقوة يخشاها الجميع بلا استثناء وذلك كما كانت في عهود الخلافة الإسلامية الأولى.

٢- العدل دافع ليقوم كل فرد بمسؤولياته:

إذا توافر العدل في المجتمع سيكون دافعا للأفراد للقيام بمسؤولياتهم الملقاة عليهم بكل أمانة وإخلاص، وذلك من خلال شعورهم بالعدل في توزيع المهام عليهم من جهة ومن أخري لان كل فرد منهم سيكافئ حسب جده واجتهاده فلا يظلم أحد منهم فيكافئ المجد ويحاسب المسيء، وإذا ظلم أحد منهم في الدنيا فهو يعلم أن الله سيكافئه في الأخرة.

٣- العدل قيد لحماية الحياة الأسرية:

يقوم العدل بحماية الحياة الأسرية وعدم الإخلال فيها وذلك من خلال ممارسته بين الأبناء لينشئ بينهم الألفة والود والرحمة والتعاطف كم يقوم على حماية الزوجة من الظلم والجور في المعاملة، والقسمة والنفقة والعدل في الحقوق الزوجية كلها، مما ينعكس بثمراته الطيبة على الأسرة جميعها لتتمكن من القيام بوظيفتها في تربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة ومن ثم إيجاد المجتمع المسلم الذي ننشده.

٤- يكسب الإنسان روح الانضباط والاستقامة:

فالعدل يؤدي إلى أن يضبط الإنسان سلوكه وفقا لأوامر الله دون أن يكون عبدا لشهواته بل تجعله سيدا لها يوجهها كيفما أراد الله، وهي تكسبه إحساسا بالمسؤولية لأنه مستخلف وصاحب رسالة عليه أن يقوم بواجبها، كما توجد فيه انفعالا دائما بمراقبة الله وخشيته، فتنبع الأخلاق من نفسه عن يقين دون خوف من عقاب أو طمع في ثواب وإنما امتثالا لأمر الله بالتزام جادة الطريق السوي وبذلك يكون الإنسان مستقيما في سلوكه قائما بمسؤولياته.

المبحث الرابع: مبدأ المساواة

تعد المساواة من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، وقد جاءت المساواة في الإسلام بصورة مطلقة لم ترد في أي دين آخر، حقيقة أن مبدأ المساواة وارد في كافة الأديان السماوية، ولكن التأكيد عليه وعلى أهميته العامة والخاصة بالنسبة للأفراد قد تكرر في الإسلام في أكثر من موضع[1] .

إن المساواة هي الضمانة الأساسية لتحقيق العدل، ولا يمكن بحال تحقيق العدل بغير احترام قاعدة المساواة الكاملة في الحقوق والأعباء، فلا تفضيل في الدولة الإسلامية بين الناس إلا بالتقوى، ولا يقدم التشريع الإسلامي امتيازات اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو سياسية لفئة دون أخرى من المسلمين، وإنما الجميع أمام الله سواء، يلتزم بذلك كل مسلم حاكما كان أم محكوما .

(لقد كان التمييز بين القبائل سائدا قبل الإسلام حتى في شعائر العبادة ففي الحج مثلا، كانت قريش دون سائر العرب تتخذ لنفسها مناسك خاصة لا يشاركها فيها بقية الحجيج، فلما حج رسول الله صلى الله علية وسلم، ظن الناس أنه سوف يتبع عادة قريش في ذلك، ولكنه لم يفعل وحج كما يحج سائر العرب[2]، اتباعا لقوله تعالى: ((ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[3] .

يقول تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً))[4]، وهذا المعنى يؤكده عزوجل ونجد أن النص يتكيء عليه اتكاء شديدا في موضع آخر فيقول تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[5]، ويمضي النص ليعلم العباد أدب المساواة فيقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))[6] .

---

[1] يبدو أن الإطلاق في ما يتعلق بمفهوم المساواة من أن كلمة الناس ذكرت ٢٤٠ مرة في القرآن وكلمة الإنسان ذكرت ٦٥ مرة وكلمة البشر ذكرت ٣٦ مرة، وكثرة التكرار المقصود به ترسيخ معنى الإنسانية العام ووحدة الجنس البشري والتأكيد على المساواة في القيمة الإنسانية، عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

[2] العوا، النظام السياسي في الدولة الإسلامية، ص٢٤٨

[3] البقرة (٩٩)

[4] النساء (١)

[5] الحجرات (١٠)

[6] الحجرات (١٣)

وفي هذه الآية (يهتف (القرآن) بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها، ليردها إلى أصل واحد وإلى ميزان واحد، هو الذي تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى ذلك الأفق السامي ... ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) ... وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ... وقد حارب الإسلام العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله ... لا راية الوطنية ولا راية القومية ولا راية البيت ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب ولينهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان))[1]، وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي)[2].

وعلى هذا نجد أن الإسلام ركز على مفهوم المساواة دون أن يعتل الأمر أي شك أو تأويل، وبطريقة منطقية أكد على الأصل الواحد للبشر بغض النظر عن اللون أو الجنس أو اللغة ... حيث الجميع مرجعهم إلى آدم عليه السلام وفضلا عن أن الأفراد جاءوا من نشأة واحدة من طين، ومروا بنفس الأطوار فإن الأفراد مآلهم لخالق واحد، فالإسلام لا يفترض وجود أبناء حرة وأبناء جارية كأساس للتفرقة بين البشر، ولذلك رفض القرآن الكريم إدعاء اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم الشعب المختار ورد عليهم قولتهم تلك .

إن المساواة في النظام الإسلامي ليس نظرية في عالم الخيال بل هو تطبيق عملي والتزام فعلي، فقد شمل كل شؤون الحياة **فدعا إلى مساواة الأفراد في الحقوق والواجبات والحريات، والمساواة أمام القانون وتطبيقه، كما شمل المساواة في الوظائف العامة وتوليها، والمساواة في تحمل التكاليف المالية.** وفيما يلي سنوضح ذلك بشيء من الاختصار .

(فقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل مساواة تامة من حيث الجنس والحقوق الإنسانية، ولم يقرر التفاضل إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد أو التبعة، مما لا يؤثر على حقيقة الوضع الإنساني للجنسين، فحيثما تساوى الاستعداد تساويا، وحيثما اختلف الاستعداد أو التبعة كان التفاوت بحسبه، – وأما أن الرجال قوامون على النساء فوجه التفضيل هو الاستعداد والدراية والمرانة فيما يختص بالقوامة، فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الأمومة يواجه أمور المجتمع فترة أطول ويتهيأ لها بقواه الفكرية جميعا، بينما تحتجز هذه التكاليف عن المرأة معظم أيامها، فوق أن تكاليف الأمومة تنمي في المرأة جانب العواطف والانفعالات، بقدر ما ينمو في الرجل جانب التأمل والتفكير، فإذا ما جعلت له القوامة على المرأة فبحكم الاستعداد والدراية ... وللناحية

---

[1] رواه أبو داوود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، رقم ٤٤٥٢

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٤٨ - الجعلان: بكسر الجيم وإسكان العين جمع جعل وهي دويبة يدحرج القذر

المالية صلة قوية بالقوامة، فهو حق مقابل تكليف ينتهي في حقيقتـــه بالمســاواة بيــن الحقــوق والتكاليف في محيط الجنسين ومحيط الحياة ...)[1].

ومن ناحية الأهلية للتملك الاقتصادي فقد ساوى التشريع الإسلامي بين الرجل والمرأة فـــي هذا الحق بقوله تعالى: ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّـــا تَـــرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ))[2]، وفي قوله تعالى: ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَـــاءِ نَصِيـــبٌ مِمَّـــا اكْتَسَبْنَ))[3]. (فالإسلام قد منحها هذا الحق ابتداء وبدون طلب منها، وبدون ثورة، وبدون جمعيـات نسوية وبدون عضوية برلمان، منحها هذا الحق تمشيا مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان جملـة وإلى تكريم شقي النفس الواحدة، وإلى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأســـرة، وإلـــى إحاطة جو الأسرة بالود والمحبة والضمانات لكل فرد فيها على السواء. ومن هنا كانت المســاواة في حق التملك وحق الكسب بين الرجال والنساء من ناحية المبدأ العام)[4].

(ويسوي الإسلام بين المسلمين وأهل الذمة في كل ما كانوا فيه متساوين ولا يختلـــف أهـــل الذمة عن المسلمين إلا فيما يتصل بالعقيدة، ولذلك كان كل ما يتصل بالعقيدة لا مساواة فيـــه، لأن معنى المساواة هو: **حمل المسلمين على ما يتفق مع عقيدتهم وحمل الذميين على ما يختلف مـع عقيدتهم، والقاعدة في الإسلام أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا مع تركهم وما يدينون)**[5].

أما ما يختص بالمساواة أمام القانون فسنكتفي بالحديث الذي رويته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن فاطمة بنت الأسود المخزومية التي سرقت فقالوا: مـــن يكلـــم فيـــها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم قالوا: ما يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حـــب رســـول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يـــا أســـامة أتشفع في حد من حدود الله ؟، ثم قام فاختطب فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[6].

---

[1] قطب،سيد،العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥٩-٦٠، انظر قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٣٠-٦٤٦و انظر قطب،سيد، الإسلام ومشكلات الحضارة، القاهرة، ١٩٦٧م، فصل المرأة وعلاقة الجنسين

[2] النساء (٧)

[3] النساء (٣٢)

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٤٥

[5] عوده، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص٢٨١

[6] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الغار ،رقم ٣٢١٦

هذه هي المساواة في أوضح معانيها نظريا وتطبيقا، فالشريف والضعيف سواء بسواء أمام القانون والتشريع الإسلامي. والناظر في سنته صلى الله عليه وسلم، وبنهج خلفاءه وأصحابه رضوان الله عنهم، يجد الكثير مما يذخر به التاريخ بالأمثلة الرائعة على تأكيد المساواة أمام القانون .

والمساواة في الإسلام شملت المساواة في تولي الوظائف العامة، - باستثناء رئاسة الدولة للمرأة - وليس المعنى هنا أن يستوي العالم والجاهل، والكفء وغير الكفء، لأن في ذلك مخالفة صريحة لقوله تعالى: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ))[1]. وإنما المساواة تكون إذا تساوت الشروط في المرشحين لتولي الوظيفة العامة، والشرط الأساسي لتولي الوظيفة العامة في الإسلام هو الكفاءة والصلاحية لأداء مهام الوظيفة، فإذا لم يتوفر هذا الشرط في المرشح فلا يولى مهما كانت منزلته من الحاكم لقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر عندما سأله أن يستعمله: ((إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها))[2].

أما إذا توافر الشرط في أكثر من مرشح فإنه ينبغي أن تتم المفاضلة على أساس تقديم الأكثر صلاحية للعمل المرشح له، ولا يجوز أن يتم التمييز على أساس آخر كالصداقة أو القرابة أو الجنس أو اللون أو اللغة ...[3]

أما المساواة في تحمل التكاليف المالية والأعباء المادية، فهي تتمثل في أن الزكاة وإن كانت هي الفريضة المالية العامة في الإسلام وهي ركن من أركانه، التي لا يجوز لمسلم أن يعفى منها ما دامت شروطها متوفرة فيه، كما لا يجوز تخفيضها عن مقاديرها، فقد أوجبها الإسلام على الجميع دون استثناء لحاكم أو طبقة أو حزب أو جماعة، إذ أن جميع الواجبات المالية تعبدية سواء التي فرضها الله على المسلمين كالزكاة والخراج ونفقات الأرحام، أو الجزية على أهل الذمة، فيدفعها الجميع طواعية وعن طيب نفس،لأنها من جملة ما يتعبد به المسلم ربه[4].

وقد بلغ من حرص الإسلام على تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والاهتمام بحقوق الفقراء في أدائها أن أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة وسير لهم جيشا ضخما، وقد قال مقولته

---

[1] الزمر (٩)

[2] صحيح مسلم، كتاب: الإمارة ،باب : كراهة الإمارة بغير ضرورة ،رقم(٣٤٠٤)

[3] انظر الدقس، كامل، الدولة الإسلامية، دار الأرقم، عمان،ط١، ١٩٩٣م، ص٥١٩ ، و متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام ، ص٢٩٤-٣٩٥ و بسيوني، الدولة ونظام الحكم في الإسلام، ص٩٤-٩٥

[4] المراجع السابقة

الشهيرة: (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه)[1] .

ومن هنا يبدو بوضوح أن الإسلام قد قرر المساواة بصورها المختلفة أمام القانون والقضاء وتولي الوظائف العامة، والمساواة في تحمل التكاليف المالية، ولا يسعنا هنا إلا أن نقول أن هذا المبدأ، مع غيره من المبادئ الأخرى، هو السر في عظمة الدولة الإسلامية .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٢٩

الجوانب التربوية لتطبيق مبدأ المساواة:

١- في المساواة إسقاط لكل الفوارق بين أفراد المجتمع:

جاء الإسلام بمبدأ المساواة بين البشر دون النظر إلى ألوانهم وأصولهم فهم سواسية أمام الله تعالى لا فضل لعربي على أعجمي ولا لابيض على اسود إلا بالتقوى وبذلك فان سيادة المساواة في المجتمع سيؤدي إلى القضاء على الأمراض السلوكية والنفسية لان الميزان الذي يقاس فيه الناس هو الميزان الثابت الذي يتغير ولا يتأثر مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة وبذلك فان أي قيمة أو قاعدة تخالف هذا الميزان الإلهي لا مكان لها في المجتمع مما يشعر الأفراد بالتقارب والتآلف.

٢- في المساواة حفظ لحقوق المرأة وتكريم لها:

جعل الإسلام للمرأة مكانتها في المجتمع وسوى بينها وبين الرجل مساواة تامة من حيث الجنس والحقوق الإنسانية كافة كالتعلم والعمل والتملك والكسب وكان كل ذلك ابتداء وبدون طلب منها ومن غير ثورة أو جمعية نسوية وذلك تمشيا مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان جملة والى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأسرة ليحيط جو الأسرة بالمحبة والود فتؤدي دورها في بناء الأسرة و المجتمع بكل رضا واطمئنان.

٣- المساواة تنشئ مجتمعا موحدا:

تسعى المساواة إلى إقامة مجتمع على أسس ربانية واضحة ثابتة وليس على أسس مادية آنية كالقومية أو الإقليمية أو المصلحة المشتركة أو غيرها من الروابط الزائفة لان هذه الروابط لا تصلح لان تكون دعائم يجتمع الناس عليها .

وعندما تكون المساواة أساس في التعامل بين الأفراد ومسئوليهم فان ذلك سيؤدي إلى تجانس مشاعر الأفراد مما يجعلهم قوة متماسكة متضافرة متكافلة أما إذا كانت الفوارق موجودة فان المجتمع يتمزق ويتفرق وتكون مشاعرهم متناحرة وولائهم متضارب فيضعف حالهم وينهدم وجودهم.

المطلب الثالث: وظائف ومهام الدولة الإسلامية

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد فتحت شريعة الإسلام للناس آفاق حرية الفكر والرأي، ومنحتهم الحق في إبداء الرأي على اختلاف موضوعاته ما لم يكن كفرا بالله أو طعنا في الدين، وقد كان هذا المنهج الإسلامي جديدا على الناس يوم نزلت هذه الشريعة، يخالف ما ألفوه وركنوا إليه من تقليد واقتفاء لآثار السابقين. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهب الإسلام إلى إيجاب إظهار الحق في كل أمر له تعلق بأحكام الشريعة والأمر به، ومحاربة الباطل والنهي عنه. ولم تسبق الشريعة الإسلامية بجعل الأمر بالحق والنهي عن الباطل واجبا على المكلفين، بل ولم يصل تشريع مما يتحاكم إليه الناس اليوم بحرية الرأي إلى هذه المرتبة.

لقد جاء الإسلام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليكفل سلامة المجتمع الإسلامي ويبعد عنه عوامل الفساد والانحلال وليضمن للمجتمع الإسلامي تماسكه وتقدمه، ولم يجعل الإسلام هذا المبدأ حقا بيد الحكام فحسب، بل هو حق لجميع أفراد المجتمع الإسلامي فلولي الأمر أن يأمر وينهى إذا وجد في المجتمع ما يخل بسلامته، وللأفراد الحق في أمر ونهي ولي الأمر إذا ما هو فرط أو قصر أو انحرف عن نهج التشريع الإسلامي .

لقد تقاربت آراء العلماء حول مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإصطلاح الشرعي.

فالأمر بالمعروف هو: الأمر بكل ما ينبغي فعله أو قوله طبقا لشريعة الإسلام .

والنهي عن المنكر هو: النهي عن كل ما ينبغي اجتنابه من قول أو فعل في هذه الشريعة. سواء كان النص قد ورد عليه صراحة أم كان مأخوذا من روح النصوص الشرعية وفحواها[1].

وعرفه الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- بقوله:(إنه التعرض للشر ومواجهة طاغوته في عنفوانه وجبروته والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد والقيام على حراسة قواعد الدين ..)[2]

---

[1] انظر: ابن قدامه المقدسي،أحمد بن محمد، مختصر منهاج القاصدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ، ص١٢٠-١٢٢ وانظر هندي، صالح ذياب، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٣٠-١٣٢

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٤٧-٤٤٨، ج٣، ص١٧٢٠

لقد دلت الآيات الكريمة وتضافرت الأحاديث النبوية الشريفة الداعية إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلت هذه الأدلة الشرعية هذا المبدأ صفة لازمة للأمة المسلمة، ووسم الله تعالى هذه الأمة بالخيرة لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وهذه السمة ليست منحة ولا صفة تعطى بل هي تكليف وتشريف وشرط لازم، يقول تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))[1]

ولذا قال مجاهد: (يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها)[2].

وقال الإمام القرطبي: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك، واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير، وتواطؤا على المنكر زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم وكان سببا لهلاكهم)[3].

وفي تفسيرها يقول الشهيد سيد -رحمه الله تعالى-:(هذا ما ينبغي أن تعرفه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ولتكون لها القيادة بما أنها خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض ... وفي أول مقتضيات هذا المكان أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي خير أمة أخرجت للناس لا عن مجاملة أو محاباة ولا عن مصادفة أو جزاف ... كلا إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف)[4].

(وصفها الله بأن هذه صفتها، ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوفر فيها هذه السمة الأساسية، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني فإما أن تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مع الإيمان بالله. فهي موجودة وهي مسلمة: وإما أن لا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة وغير متحققة فيها صفة الإسلام)[5].

إذا هذه الأمة مكلفة بوجوب القيادة للعالم أجمع إلى الخير، وعليها أن تكون قائدة لا مقودة، ونظامها هو النظام الذي يجب أن يسود العالم كله، لأنها أمة ذات رسالة عالمية لكل فرد من أفراد البشرية نصيب، ويجب على كل مسلم أن يجاهد لإبلاغ هذا الدين للعالمين، وأول هذه الواجبات

---

[1] آل عمران (١١٠)

[2] الطبري،محمد بن جرير،جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعارف، ط٢، ج٤، ص٢٩

[3] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ج٤، ص١٧٣

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٤٧

[5] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٤٨

هو أن تقوم بتخلية الحياة من الفساد والرذائل والمنكرات، وتحليتها بالفضائل ومكارم الأخـــلاق، فلابد إذا من إعلان الحرب على الفساد والمفسدين وإنكار المنكرات.

إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم يدل علـــى فرضيته قوله تعالى في ذم بني إسرائيل: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَـــى لِسَـــانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))[1] وكذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وكون هذا حفاظا للأمة وحـــرزا ظاهرا، فإن الناس إذا تركوا دعوة الخير وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات خرجـــوا عن معنى الأمة، وكانوا أفرادا متفرقين لا جماعة لهم، يقول الشهيد في معرض تفسيره لهذه الآية: (إن العصيان والعدوان قد يقعان في كل مجتمع من الشريرين المفسدين المنحرفين، فـــالأرض لا تخلو من الشر... ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفا مصطلحا عليه... والمنهج الإسلامي .. بعرضه لهذه الظاهرة في المجتمع الإسرائيلي .. في صورة الكراهـــة والتنديد، يريد للجماعة المسلمة أن يكون لها كيان حي متجمع صلب، يدفع كل بادرة من بـــوادر العدوان والمعصية، قبل أن تصبح ظاهرة عامة، ويريد للمجتمع الإسلامي أن يكون صلبـــا فـــي الحق، و حساسا تجاه الاعتداء عليه، ويريد للقائمين على الدين أن يؤدوا أمانتهم التي اســـتحفظوا عليها، فيقفوا في وجه الشر والفساد والطغيان والاعتداء .. ولا يخافوا لومة لائم، سواء جاء هـــذا الشر من الحكام المتسلطين بالحكم أو الأغنياء المتسلطين بالمال، أو مـــن الأشـــرار المتسـلطين بالأذى، أو الجماهير المتسلطة بالهوى، فمنهج الله هو منهج الله، والخارجون عليه علوا أم سـفلوا سواء. والإسلام يشدد في الوفاء بهذه الأمانة، فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر إذا هي سكتت عليه ويجعل الأمانة في عنق كل فرد، بعد أن يضعها في عنق الجماعة عامة.

روى أبو داود - بإسناده - عن عبد الله بن مسعود قال: قـــال رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتـــق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنع ذلك أن يكون أكيله وشـــريبه وقعيـــده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: لعن الذين كفروا من بني إســـرائيل ... إلى قوله (فاسقون) ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن علـــى يـــد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا - أو لتقصرنه على الحق قصرا))[2].

---

[1] المائدة: (٧٨،٧٩)

[2] سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم(٣٧٧٤)

فليس هو مجرد الأمر والنهي، ثم تنتهي المسألة، إنما هو الإصرار والمقاطعة، والكف بالقوة عن الشر والفساد والمعصية والاعتداء . ...)[1].

لقد جعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط الاستخلاف في هذه الأرض، وسبب في النصر والتمكين لها حيث يقول تعالى: ((وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))[2].

(هؤلاء هم الذين ينصرون الله. إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة ... فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته، المشروط بتكاليفه وأعبائه ... إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح، ... فلا تبقي على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه ...)[3].

لقد تحدث الشهيد حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطولا، وركز حول **المعروف الأكبر**: والذي قصد به تأليه الله في الأرض والاعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة، أما **المنكر الأكبر**: فهو الاعتداء على ألوهية الله في الأرض ورفض شريعته للحياة، ويوم أن يسود المنكر الأكبر، تفشو المنكرات الجزئية في الناس، وتتحول المجتمعات إلى مجتمعات جاهلية في حكمها وقيمها وعلاقاتها الاجتماعية، يقول الشهيد: (لابد من الأمر بالمعروف الأكبر وهو الاعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة، والنهي عن المنكر الأكبر وهو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة ... وبعد إقامة الأساس يمكن أن يقام البنيان)[4].

ويقول: (فأما المجتمعات الجاهلية التي لا تتحاكم إلى شريعة الله، فالمنكر الأكبر فيها والأهم هو المنكر الذي تنبع منه كل المنكرات ... هو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة ... وهذا المنكر الكبير الأساسي الجذري هو الذي يجب أن يتجه إليه الإنكار قبل الدخول في المنكرات الجزئية، التي هي تبع لهذا المنكر الأكبر وفرع عنه، وعرض له ...)[5].

ويوجه ندائه إلى الدعاة أن يركزوا اهتمامهم على محاربة المنكر الأكبر وتغييره والدعوة إلى المعروف الأكبر وتمكينه، ويحذر من إنفاق أعمار الدعاة في إنكار المنكرات الجزئية وإهمال

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٤٨

[2] الحج (٤٠،٤١)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٤٢٨

[4] قطب، في ظلال القرآن، ج٢،ص٩٥٠

[5] قطب، في ظلال القرآن،ج٢، ص٩٥٠

إنكار المنكر الأكبر وتغييره لأن في ذلك إضاعة للجهد ولا طائل من ذلك، ويضرب الأمثلة على ذلك من خلال واقع المجتمعات معينا ضعف الجدوى من هذا التوجه.

يقول الشهيد رحمه الله: (إنه لا جدوى من ضياع الجهد ... جهد الخيرين الصالحين من الناس... في مقاومة المنكرات الجزئية الناشئة بطبيعتها من المنكر الأول منكر الجرأة على الله وادعاء خصائص الألوهية ورفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة، لا جدوى من ضياع الجهد في مقاومة منكرات هي مقتضيات ذلك المنكر الأول وثمراته النكدة بلا جدال ... .

إن الإنسان ليرثى أحيانا ويعجب لأناس طيبين، ينفقون جهدهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفروع، بينما الأصل الذي تقوم عليه حياة المجتمع المسلم، ويقوم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقطوع ... .

فما غناء أن تنهى الناس عن أكل الحرام مثلا في مجتمع يقوم اقتصاده كله على الربا ...

ولا يملك فرد فيه أن يأكل من حلال ... لأن نظامه الاجتماعي والاقتصادي كله لا يقوم على شريعة الله. لأنه ابتداء برفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة ؟

وما غناء أن تنهى الناس عن الفسق مثلا في مجتمع قانونه لا يعتبر الزنا جريمة إلا في حالة الإكراه ولا يعاقب حتى في حالة الإكراه بشريعة الله ...؟

وما غناء أن تنهى الناس عن السكر في مجتمع قانونه يبيح تداول وشرب الخمر ولا يعاقب إلا على حالة السكر البين في الطريق العام ...؟ وما غناء أن تنهى الناس عن سب الدين في مجتمع لا يعترف بسلطان الله، ولا يعبد فيه الله، إنما هو يتخذ أربابا من دونه، ينزلون له شريعته وقانونه وقيمه وموازينه ...؟

ويختم حديثه قائلا: (ما غناء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه الأحوال ؟

ما غناء النهي عن هذه الكبائر فضلا عن أن يكون النهي عن الصغائر والكبيرة لا نهي عنها كبيرة الكفر بالله برفض منهجه للحياة ! ...إنه في هذه المرحلة، ليس أمر تتبع الفرعيات مهما تكن ضخمة حتى ولو كانت هي حدود الله، فحدود الله تقوم ابتداء على الاعتراف بحاكمية الله دون سواه ... فكل جهد في الفروع ضائع، وكل محاولة في الفروع عبث والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات ...)[1].

ويضرب الشهيد المثل بالمجتمع الإسلامي الأول الذي أقامه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة المنورة وكيف تم العمل بهذا المبدأ الإسلامي العظيم، يقول: (والذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم هاجروا وجاهدوا ابتداء لإقامة الدولة المسلمة الحاكمة بشريعة الله، وإقامة المجتمع

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٥٠-٩٥١ بتصرف

المسلم المحكوم بهذه الشريعة، فلما تم لهم ذلك كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في الفروع المتعلقة بالطاعات والمعاصي، ولم ينفقوا جهدهم قبل قيام الدولة المسلمة والمجتمع المسلم في شيء من هذه التفريعات التي لا تنشأ إلا بعد قيام الأصل الأصيل)[1].

وتغيير المنكر يكون كلا حسب استطاعته وقدرته ومسئوليته، فأوله التغيير باليد وأوسطه التغيير باللسان، وآخره التغيير بالقلب، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[2]

وبذلك يكون إنكار المنكر واجب على كل مسلم كل حسب مكانته وقدرته، فلا سبيل لأحد أن يتنصل من هذا الواجب، أو الانسحاب من هذه الطاعة، (فقد يجيء على المسلمين زمان لا يستطيعون فيه تغيير المنكر بأيديهم، ولا يستطيعون فيه تغيير المنكر بألسنتهم فيبقى أضعف الإيمان، وهو تغييره بقلوبهم، وهذا لا يملك أحد أن يحول بينهم وبينه، إن هم كانوا حقا على الإسلام ! وليس هذا موقفا سلبيا من المنكر - كما يلوح في بادئ الأمر -- وتعبير الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه تغيير دليل على أنه عمل إيجابي في طبيعته، فإنكار المنكر بالقلب، معناه احتفاظ القلب بإيجابيته تجاه المنكر إنه ينكره ويكرهه ولا يستسلم له، ولا يعتبره الوضع الشرعي الذي يخضع له ويعترف به وإنكار القلوب لوضع من الأوضاع قوة إيجابية لهدم هذا الوضع المنكر، ولإقامة الوضع المعروف في أول فرصة تسنح وللتربص بالمنكر حتى تواتي هذه الفرصة وهذا كله عمل إيجابي في التغيير وهو على كل حال أضعف الإيمان، فلا أقل من أن يحتفظ المسلم بأضعف الإيمان، أما الاستسلام للمنكر لأنه واقع، ولأنه له ضغطا قد يكون ساحقا فهو الخروج من حلقه والتخلي حتى عن أضعف الإيمان !....)[3].

ولابد من وجود الميزان الذي نرجع إليه بالأعمال لنقول لهم إن هذا منكر فاجتنبوه ولابد من قيم نقيس إليها المعروف والمنكر، فهل نأخذ هذا الميزان وتلك القيم من أعراف الناس وأهوائهم وشهواتهم، أم لابد من مرجعية واحدة نأخذ منها ونقيس عليها ؟

يقول الشهيد: (على أنه إلام نحاكم الناس في أمر ما يرتكبونه من المنكرات؟ بأي ميزان نزن أعمالهم؟ ... أنت تقول: إن هذا منكر، فيطلع عليك عشرة من هنا ومن هناك يقولون لك: كلا! ليس هذا منكرا. لقد كان منكرا في الزمان الخالي! والدنيا تتطور والمجتمع يتقدم، وتختلف الاعتبارات .... .

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٧٢٠

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم(٧٠)

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٥١

فلا بد ابتداء من إقامة الميزان ... ولابد أن يكون هذا الميزان ثابتا لا يتأرجح مع الأهواء ... هذا الميزان الثابت هو ميزان الله ..)[1]

(الذي يحققه الإيمان، بإقامة تصور صحيح للوجود وعلاقته بخالقه، وللإنسان وغاية وجوده ومركزه الحقيقي في هذا الكون .. ومن هذا التصور العام تنبثق القواعد الأخلاقية)[2]

وأخيرا: حتى يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذا فائدة، يعطي ثماره للأمم لابد من زاد يتزود به الدعاة في طريقهم ذلك، وسند يمدهم بالقوة والصبر والثبات: (ثم لابد من الإيمان ليملك الدعاة إلى الخير، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن يمضوا في هذا الطريق الشاق، ويحتملوا تكاليفه. وهم يواجهون طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته ويواجهون طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها، ويواجهون هبوط الأرواح، وكلال العزائم، وثقلت المطامع. وزادهم هو الإيمان وعدتهم هي الإيمان وسندهم هو الله .. وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفذ وكل عدة سوى عدة الإيمان تفل، وكل سند غير سند الله ينهار!)[3]

قال تعالى: ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ))[4] .

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٥٠

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٤٧

[3] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٤٨

[4] لقمان (١٧)

الجوانب التربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١-المحافظة على نقاء الأمة وتماسكها:

يمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة سلوكية اجتماعية في الإسلام فهو يحافظ على نقاء الأمة ويحميها من أسباب الضعف بمحاربة الرذائل وأنواع الفساد كما تؤدي إلى تماسك الأمة ووحدتها بالتناصح والحرص على نشر الفضيلة بين أفرادها فتزول بذلك أسباب الفرقة والاختلاف التي وقعت في بعض الأمم السابقة ولذلك فهذه القاعدة الإسلامية لا تعد من قبيل التدخل في الحريات الخاصة للأفراد لان الأصل المحافظة على المجتمع وصيانته من أسباب الانحراف .

٢-تعزيز الشعور بالانتماء للدين والمجتمع:

لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد ولا مجال من المجالات بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم و قيم، وهو دعوة إلى الإسلام عقيدة و منهاجا وسلوكا وذلك من خلال تحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والإرشادات الإسلامية.

المبحث الثاني: السلام

يعد السلام من التوجيهات الإسلامية التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءا من كيانهم وعقيدة من عقائدهم، فمئات الملايين من المسلمين في كل أنحاء العالم يؤدون الصلاة في كل يوم خمس مرات، ويختتمون صلواتهم بكلمة واحدة وهي السلام عليكم، ويتبادل المسلمون مع بعضهم البعض ومع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى التحية بنفس الكلمة، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، ولفظ الإسلام هو عنوان هذا الدين مأخوذ من السلام، وبذلك تكون العلاقة بين السلام والإسلام علاقة متصلة، فهما يلتقيان في توفير الأمن والطمأنينة والسكينة لكل البشر، والمسلم لا يكون مسلما كما أوضح المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا إذا سلم الآخرون من لسانه ويده، والمسلم لا يكون مسلما إلا إذا أمن جاره - مهما كان جنسه أو دينه - بوائقه .

وإن نظرة سريعة إلى النصوص الشرعية تبين لنا أن الإسلام قد وضع السلام في مقدمة أهدافه وأولوياته، ذلك لأن الإسلام يحب الحياة ويقدسها، ويحبب الناس فيها ويحررهم من الخوف، ويرسم بقيمه وتعاليمه الطريقة المثلى كي تتجه الإنسانية إلى غاياتها من الرقي والتقدم في ظل الأمن والسلام .

ولعل ما يميز السلام في الإسلام أنه غير مجزئ، ولا ينشد في حقل دون آخر، فهو بطبيعته يجعل السلام كله وحدة واحدة ويحاول تحقيقه في كل حقل، ويربط بينه وبين الفكرة الكلية عن الكون والحياة والإنسان، وبذلك تكون كلمة السلام هي التي يعنيها الإسلام ذات دلالة أعمق وأشمل من معناها الذي تتعارف عليه الدول هذه الأيام، فهو السلام الذي يحقق كلمة الله في الأرض من العدل والأمن لجميع الناس، فالإسلام لا يبدأ بإقرار السلام في مجال السلام الدولي وإنما يبتدأ به أولا في ضمير الفرد، ثم الأسرة ثم الجماعة ومن ثم في الميدان الدولي بين جميع الشعوب والأمم .

وفيما يلي سنتتبع السلام في الإسلام ابتداء من الفرد وانتهاء بالسلام الدولي من خلال آراء سيد قطب -رحمه الله تعالى- .

سلام الفرد:-

الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع، وله قيمة كبرى في النظام الإسلامي، فلا عجب إذا أن نجد الإسلام قد اهتم به اهتماما بالغا، وسعى إلى كل ما فيه استقرار هذا الفرد وطمأنينته حتى يؤدي الغاية والوظيفة التي كلفه الله بها من استخلافه في هذه الأرض .

لقد جاء الإسلام ليغرس بذور السلام والسكينة في النفس الإنسانية حتى يرتقي بها روحيا وفكريا وخلقيا، فدعاه أول ما دعاه أن يستسلم إلى خالقه الواحد استسلام الواثق المطمئن الراضي في كل أموره وأحواله فلا يخضع إلا لله ولا يرضى بغير حكمه وقضاه، ولا يرجو سواه، ولا يثق إلا في رحمته ورعايته واتصاله بربه اتصال مباشر لا يحتاج إلى وسيط، ولا يتدخل فيه مخلوق، (وبذلك يفيض السلام على قلب الإنسان من صحة تصوره لخالقه وبساطة هذا التصور، فيتوجه إلى وجهة واحدة تستقر عليها قلبه ولا تتعدد به السبل، ولا يطارده إله من هنا أو هناك بل هو إله واحد يتوجه إليه ويسلم بما قضى عليه في طمأنينة واستقرار)[1] وبذلك يكون توجه هذا الإنسان إلى قوة وحيدة حقيقية في هذا الوجود لا يخاف أحدا ولا يحسب لغير هذه القوة في نفسه حسابا، فتتضائل كل القوى الأخرى أمامه مهما عظمت أو استبدت، فما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وبعد ذلك يسعى الإسلام لفرض التكاليف الإلهية على الإنسان في شرائعه وشعائره، بما هو في طاقته فلا يكلف الفرد فوق استطاعته مراعيا بذلك الطبيعة البشرية (بما لا يترك مجالا للإرهاق أو تحطيم الذات الإنسانية تحت الكبت أو الحرمان أو النفور والخروج عن الأوامر والنواهي أو القلق النفسي والشعور بالتقصير وبذلك يصونها من التحطم والجموح والقلق ويجعلها تنعم بالاستجابة وتطمئن بالطاعة)[2] .

ويتدرج الإسلام مع النفس البشرية ليحافظ على رغباتها الطبيعية، ويسعى بتشريعاته إلى ضرورة إشباع هذه الرغبات ضمن الحدود الشرعية فلا يكبتها ولا يطلقها، بل يدعو صاحبها إلى أن يملك زمامها، فلا يكون عبدا مملوكا لها وييسر له السبل لتصريفها تصريفا نظيفا ضمن الحدود السوية، التي لا تؤدي إلى انحلال في شخصية الفرد ولا انتكاس حيواني في محيط المجتمع، (وبذلك يحصر الأسباب المؤدية إلى العقد النفسية في حالات الشذوذ المرضي وتختفي عوامل القلق وينعم الإنسان بالأمن والسلام)[3] .

أما إذا انزلق الإنسان إلى مراتب الزلل والخطأ فإن باب التوبة والاستغفار مفتوح أمامه يتوجه إلى ربه نادما تائبا ليجد هنالك اليد الحانية التي تمنحه البرء والعفو دون وسيط، (وبذلك

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج١،ص٢٠٦-٢٠٧ ، قطب، سيد، السلام العالمي والإسلام، مكتبة وهبة، ط٣، ص٥٢

[2] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٢٠٨ ٢٠٩ ، السلام العالمي والإسلام، ص٤٨ ٥١

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٤٢-٤٣ بتصرف

يملأ نفوس الخاطئين بالرجاء وينير لأرواحهم الطريق، ويمني هـذه الأرواح الخائفة المتعبة بالراحة والأمان فلا تظل أبدا قلقة حائرة ممزقة لا يقر لها قرار)[1].

وأخيرا يكفل الإسلام للإنسان الأمن والاستقرار ممن حوله (فيؤمن الفرد من كـل اعتـداء، اعتداء فرد مثله أو اعتداء حاكم عليه ... ويوفر للفرد في قانونه كل ضماناته: يحفظ عليه حياتـه وماله وعرضه، فلا تمس إلا بحق الله فيها ويحميه من السخرية منه أو التجسس عليه أو اغتيابـه ... ثم يضمن للفرد رزقه في عنق الجماعة: يضمنه بالعمل، ... وبالضمانات الاجتماعيـة عنـد التعطل والعجز وعند الشيخوخة ... وإن الإسلام ليوفر أسباب السلام كلها في قـرارة الضمـير وشعاره في هذا المجال لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام)[2].

سلام الأسرة:-

الأسرة هي الوحدة الأولى في المجتمع وهي البيئة الأولى التي تكتنف الفرد، ففيها ينمو وينشأ ومن سماتها يأخذ، ومنها يكتسب معارفه ومهاراته، ومن جوها يتأثر ميوله واتجاهاته في الحيـاة وفي حصنها يجد الأمن وينعم بالاستقرار، ولذلك كان الحرص من الإسلام في أن تكون الأسـرة سليمة قوية، العلاقة بين أفرادها تقوم على المودة والرحمة ويسودها المحبة والتعاون، حتى تعيش حياتها في سعادة وطمأنينة وهدوء.

(والفرد الذي لا يستمتع في بيته بالسلام لن يعرف للسلام قيمة ولن يتذوق له طعما ولن يكون عامل سلام وفي أعصابه معركة وفي نفسه قلق وفي روحه اضطراب)[3].

ومن هنا بدأ الإسلام يعمل على تكوين الأسرة فشرع الزواج وحث عليه، وحذر من تركه مع القدرة عليه وضع له التنظيمات القانونية والضمانات التشريعية، وجعل فيه سكن للنفس واستقرار للأفراد يقول تعالى:((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[4] (فحكمة الخالق في خلق كل من الجنسين جاء تلبيـة للحاجات الفطرية النفسية والعقلية والجسدية، بحيث يجدان الراحة والطمأنينة والاستقرار، وفـي

---

[1] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٤٥

[2] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٥٥-٥٦ بتصرف شديد.

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٦٠

[4] الروم (٢١)

اجتماعهما السكن والاكتفاء ... لان تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد)[1].

وحتى تتمكن الأسرة من إخراج ذلك الجيل الجديد، فقد بادر الإسلام بتشريعاته وتنظيماته وإبرازه للحقوق والواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل فرد حسب مكانته ووضعه لتسهيل هذه المهمة، مبتدأ بضرورة العناية باختيار الزوجين لبعضهما على أساس التقوى والدين، وجعل الاستئذان والرضى بالزواج والإعلان والإشهار، وعدم التأقيت فيه شروطا حتى يصح لما فيها من الطمأنينة والاستقرار والسكنى، وحتى يتمكن الزوجان من بناء بيتهما وهما واثقان وآمنان، ومن ثم أوجب النفقة على الرجل وجعلها فريضة، حتى يتيح للأم رعاية الأبناء ولتنشر بداخل بيتها أريج المحبة والحنان، وأعطى للرجل حق القوامة على أهله لأنه الأقدر على تصريف الأمور والأصلح لذلك، ودعى المرأة إلى الحشمة والتحفظ، ونهاها عن التبرج والاختلاط خوفا من الانزلاق في المحذور أو الانحراف في العواطف، مما يؤدي إلى تهديد بنيان هذه الأسرة وهز أركان الثقة فيه (إن من حق الرجل كما إن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما إلى رفيقه، وأن لا يتعرض للإغراء الذي قد تنحرف معه عواطف شريكه إن لم يقده الانحراف إلى الانزلاق والخطيئة مما يهدد ذلك الرباط المقدس ويطير عن جوه الثقة الكاملة والاطمئنان)[2] (إن التجربة الكاملة لا تمنع أن تبرز في حياة الزوج أو الزوجة بالاختلاط الطليق شخصية أخرى فماذا يقع حينذاك ؟ أما أن ينزلق الزوج أو تنزلق الزوجة استجابة لهذا الهوى الجديد وأما أن يقاوم هو أو هي احتفاظا بالواجب فيقع في القلق والاضطراب ... وكلهما طريق لا يقود إلى سلام في القلب ولا إلى طمأنينة في الروح ولا إلى أمن في البيوت .

ودع عنك تدلي الإنسانية في الفاحشة وارتكاسها في البهيمية وانتكاسها إلى مثل فوضى الحيوان ونزواته المطلقة العنان)[3].

وبعد فقد أراد الإسلام من كل هذه التشريعات والتنظيمات أن يجعل الضمائر تقر والأرواح أن تطمئن والبيوت أن تهدأ لقد أراد للسلام أن يرفرف على هذه الأسر حتى تتمكن من إخراج ذلك الجيل المسلم المتزن في فكره وعاطفته وخلقه (لقد كان الإسلام يريد السلام للعش الذي ليس

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٦٣

[2] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٦٥

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٦٥-٦٦

ملكا للزوج وليس ملكا للزوجة فهما فيه راعيان للفراخ الزغب، أمينان على الطفولة النابعة حارسان للحياة المتفتحة في مثابة الأمان)[1].

سلام المجتمع:-

بعد أن تمكن الإسلام بتشريعاته وضوابطه أن يحقق السلام في نفوس أفراده، أصبح من السهل أن تمتد جذور السلام إلى مجتمعه، فالفرد جزء من المجتمع الذي تتشابك فيه المصالح وتتفاعل فيه القوى والقدرات، ويندمج فيه الفرد والأسرة لتحقيق أهداف وغايات هذا المجتمع المتميز، ولذلك كان لابد أن تقوم العلاقة بين الفرد ومجتمعه على أساس التعاون والتضامن والود والألفة والأمن والسلام، ولن يكون ذلك إلا من خلال الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات من قبل الأفراد، على اختلاف مواقعهم حكاما ومحكومين صغارا وكبارا، أغنياء وفقراء .

إن تطبيق الفكرة الإسلامية للنظام الاجتماعي كفيل بحل كافة مشاكل المجتمع كما أنها الطريق الأسلم للوصول إلى سلام المجتمع لان (الإسلام لا يقيم السلام الشامل على حساب الفرد أو حساب الجماعة، ولا يقيمه على أساس من مصلحة طبقة ضد طبقة، أو سلطة دون سلطة، إنما يقيمه على حسابهم جميعا ولحسابهم جميعا ...

فهو يرسم لكل فرد ولكل جماعة ولكل سلطة حدودها لتحقيق العدالة المطلقة ... إن القانون الإسلامي الذي لم يضعه فرد ولم تضعه طبقة ولم تضعه سلطة هو القانون المبرأ من الميل في صف فرد ومن محاباة طبقة ومن مراعاة سلطة ومن ثم فهو الحاجز دون طغيان طبقة على طبقة وهو الوقاية من ذلك الصراع الذي تحسبه المذاهب المادية ضربة لازب)[2].

لقد ابتدأ الإسلام في نظرته إلى المجتمع برد البشرية إلى أصلها الواحد وإلى خالقها الواحد لينشأ في نفوسهم الرحمة ويغرس في أرواحهم الحب ويوقظ في وجدانهم الشعور بالنسب والقربى، فتتقارب القلوب وتتآلف الأرواح وتسقط باقي القيم الزائفة والفوارق الباهتة، يقول تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))[3] (إنه يرد الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة ... ويذكرهم أخوتهم في الله وفي المنشأ والمصير، فإذا رقت جوانحهم بهذه المشاعر كانوا إلى

---

[1] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٦٨

[2] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٩٢-٩٣ بتصرف

[3] الحجرات (١٣)

السماحة أقرب وإلى السلام أدنى، وهانت أسباب الخلاف والنزاع، وأمكن أن تفلح النظم والقوانين التي يسنها لتحقيق هذا السلام ...)[1]

ويتدرج الإسلام بالنفس البشرية ليهذب أخلاقها، ويجدد لها قيمها ويسن لـــها آداب الســلوك الاجتماعي لتنعم بالطمأنينة وتقر بالمودة وتزهو بالسلام في حياتها الاجتماعية، فحرم عليها الكبر والعجب والخيلاء، وحرم كل ما يمس كرامة الناس أو يلمزهم في مشـــاعرهم، أو يوقـــع الشـــك والريبة في نفوسهم أو يعكر صفو حياتهم، وبالمقابل أبرز الصورة الإيجابية للآداب لاستجاشـــة شعور المودة والألفة، فدعا إلى إفشاء السلام إشاعة للطمأنينة و الصفح عن الإساءة و الســـماحة في المعاملة، و الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يثير الأحقاد والضغائن، أو يفرق وحدة المســلمين أو يخلخل صفهم . (وهذا يقوم الأدب النفسي والاجتماعي بدوره في تصفية جو الحياة وإشـــاعة المودة والألفة في النفوس، ويساعد في بناء السلام في المجتمع في عالم الواقع وعالم الشعور)[2].

ثم ينطلق الإسلام بالمجتمع ليأخذ مكانه في هذا العالم الفسيح، وليؤدي دوره الذي كلفه الله بـه فيدعوه إلى ضرورة الإصلاح الكوني العام ويستنهض هممهم (من حجر الغايات الصغيرة القريبة ليطلقها في مجال الأهداف العليا للحياة الطليقة ومن مجال النظرية القومية الضيقـــة إلـــى آفـــاق الإنسانية الرفيعة الشاملة)[3] ففرض الجهاد لتصبح كلمة الله هي العليا، وكلفهم حمايـــة الضعفـــاء ومنحهم الأمان أيا كانت جنسياتهم وأيا كانت عقيدتهم، وأمرهم بتغيير المنكر سواء وقع من حـــاكم أو محكوم من فرد أو جماعة، ليسود العدل المطلق الذي لا يتأثر بالجاه والسلطان ولا المحبـــة أو الشنآن وليمضي حكم الله وليعم السلام أرجاء المعمورة لتنعم به الإنسانية كما نعم بـــه المجتمـــع الإسلامي .

(والإسلام إذ يكلف المسلمين هذه التكاليف العليا يرفع نفوسهم وأهدافهم، ويطلـــق طاقاتـــهم الكامنة في مجال الإنسانية لا في مجال الفردية ... وفي جو كهذا الجو يستطيع الفرد أن يحقـــق ذاته ويحقق رغبة الاستعلاء في نفسه دون أن يضطر في ذلك للنزاع الفردي والشـــحناء وإلـــى العراك الداخلي والبغضاء ..)[4] .

---

[1] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص٩٣-٩٤ ، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٤٥

[2] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٠٠

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٠٤

[4] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٠٧-١٠٨

السلام الدولي:

إن السلام في الإسلام ليس شعارا يرفع، أو نداء تعلو به الحناجر وليس حكرا على الأمة الإسلامية، وإنما هو بذرة خصبة يلقيها في نفوس الأفراد لتنمو بداخلهم وتورق في مجتمعهم، حتى يستظل بها العالم أجمع فيجني من ثماره الحب والألفة والود والرحمة والتضامن والتعاون .

إن حالة السلم في الإسلام هي الأصل في العلاقات الإنسانية والدولية على حد سواء، والأمة الإسلامية بحكم وصايتها على الأمم الأخرى مكلفة بنشر السلام في الأرض، يقول تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))[1].

وقد كفل الإسلام ذلك من خلال تشريعاته ونظامه، فنهى عن إكراه الأمم الأخرى للدخول في الدين، وأمر بالمقابل حماية المؤمنين من الأذى والفتنة، وأوجب تحقيق العدالة الكبرى في الأرض لتتمتع بها البشرية، ودك قواعد الظلم والبغي أينما وجدت وإزالة أسبابه، ومن هنا كان تشريع الجهاد في سبيل الله لا من أجل الاستيلاء على الأرض أو استذلال الرقاب بل لتخليص البشرية من الظلم والذل، وإقامة السلام العالمي على أسسه الأصيلة، ليس السلم الذليل أو السلم الكاذب إنما السلم القوي القائم على العدل، يقول تعالى: ((فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ))[2] .

يقول الشهيد: (لقد تضمنت مبادئ الإسلام الأساسية ثورة حقيقية كاملة ثورة على الظلم بكل صنوفه وفي كل ميادينه، وثورة على النظم والحكومات والأوضاع التي تستند إلى هذا الظلم وتستبقيه لحساب فرد على جماعة ... أو لحساب دولة على دولة،... ولم يكن بد أن يكتب الجهاد على المسلمين لتحقيق كلمة الله في الأرض واستنقاذ البشرية أفرادا وجماعات من جور الأشخاص والحكومات والنظم والأوضاع، لكي يقيم السلام العالمي ... لا في العالم الدولي فحسب، ولكن في داخل هذه الدول كذلك، فلا يسكت على وقوع الظلم في داخل دولة من الدول ليشتري السلم معها بأي ثمن ...

إن هنالك سلما رخيصة دنية هي السلم التي تقام على حساب البشرية وعلى حساب المبادئ العليا للإنسانية كما أرادها الله في الأرض لبني الإنسان، وهذه هي السلم التي يحذر الله المسلمين منها ...)[3]، وكما كان للعنصر الأخلاقي دائما في تشريعات الإسلام ونظمه نصيب فإننا نجد أن هذا العنصر يسيطر على العلاقات الدولية في حالة السلم والحرب، فهو يحرم حرب الاعتداء

---

[1] البقرة (١٤٣)

[2] محمد (٣٥)

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٤٩-١٥١ بتصرف انظر في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٠٢

والتعسف واستنزاف الموارد والتضييق على عباد الله، ويحذر من التنكيل في الحرب أو الإتلاف والتخريب، أو قتل من لا يقاتل من النساء والأطفال والشيوخ أو رجال الدين، كما أمر بضرورة الإحسان إلى الأسرى وعدم التنكيل بهم أو النيل من كرامتهم، وجعل إطعامهم من صفات الأبرار المقربين إلى الله تعالى ((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا))[1].

كما دعا إلى ضرورة حفظ العهود والمواثيق وعدم خيانتها ما حافظ عليها المعاهدون ولم يخلوا بشروطها أو أي من التزاماتها، بل ذهب لأبعد من ذلك حين يستنصر المسلمون بالمسلمين على عدو فإن هذا لا يبيح لإخوانهم نقض العهد الذي سبق له الأداء، وهي قمة في الوفاء بالعهد[2]

يقول صاحب الظلال: (إن العهد مقدس مهما يفوت على المسلمين من مصالح قريبة ومطامح مرغوبة، وإن الشرف مرعي مهما يسبب للمسلمين من خسائر ومتاعب، وإن الشعور الإنساني ملحوظ، مهما تكن قسوة المعركة وحرارة الضرب والحرب، وقد كسب الإسلام بذلك كله ولم يخسر في النهاية، كسب الأرواح والقلوب وكسب توطيد المبادئ العليا التي جاء لإقرارها في الأرض، وعوض في النهاية ما فقده بالمحافظة على العنصر الأخلاقي في السلم والحرب من خسائر جزئية ومتاعب وقتية وشهد في فترة منيرة كيف جاء نصر الله والفتح ...)[3].

ويقول المستشرق (جب) في كتابه (حيثما يكون الإسلام) والذي يشهد فيه شهادة حق لهذا الدين وأهله لمكانة السلام في الإسلام، ومقرا بالمبادئ السلمية التي طبقها الأوائل تطبيقا حيا في فتوحاتهم: (ولكن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية صفة سامية جليلة، فليس هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جهة واحدة ... فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء إلى الإسلام لحل النزاع)[4] وأخيرا إذا كنا ننشد السلام الكامل والشامل سلام النفس والعقل والروح، سلام الأسرة والبيت سلام المجتمع والأمة، سلام الإنسانية والبشرية والعالم، سلام الكون والحياة، فلا سبيل لذلك إلا بالرجوع إلى الإسلام والسير على خطاه والأخذ بتشريعاته والرضى بنظامه، ولنا في تاريخنا خير شاهد على ذلك، وصدق الله العظيم حين يقول ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

---

[1] الإنسان (٨)

[2] يراجع في ظلال القرآن، ج٣، ص١٥٥٩

[3] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٦٦

[4] الحسن، محمد علي، العلاقات الدولية في القرآن والسنة، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ١٩٨٠م، ص٢٦٩

مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[1].

وخلاصة الأمر أن السلام الدولي والأمن العالمي الذي تنشده الدول الان وتتطلع إليه الشعوب، لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع أو أن يخرج من كونه مجرد شعارات ترفع؛ إلا من خلال غرسه في نفوس الأفراد وذلك بالالتزام الكامل بالتشريع والحكم الإسلامي الشامل، ليمتد بعد ذلك بجذوره ليشمل الأسرة فيورق على المجتمع ويستظل به العالم أجمع، فيجني من ثماره الحب والألفة والطمأنينة والاستقرار، وبذلك يكون السلام في الإسلام وحدة واحدة لا ينشد في حقل دون آخر، ولا يمكن له أن يحيى وأن يبقى إذا طلب مجزءا.

---

[1] المائدة (١٥، ١٦)

الجوانب التربوية للسلام:

١-يحافظ على كيان الأسرة والمجتمع من خلال تلبية رغباتها:

جاءت تشريعات الإسلام للنفس البشرية لتحافظ على رغباتها الطبيعية، ويسعى بتشريعاته إلى ضرورة إشباع هذه الرغبات ضمن الحدود الشرعية فلا يكبتها ولا يطلقها، بل يدعو صاحبها إلى أن يملك زمامها، فلا يكون عبدا مملوكا لها وييسر له السبل لتصريفها تصريفا نظيفا ضمن الحدود السوية، التي لا تؤدي إلى انحلال في شخصية الفرد ولا انتكاس حيواني في محيط المجتمع، وبذلك يحصر الأسباب المؤدية إلى العقد النفسية في حالات الشذوذ المرضي وتختفي عوامل القلق وينعم الإنسان بالأمن والسلام.

٢- يرسم لكل فرد ومجتمع وسلطة حقوقها وحدودها دون طغيان أو تعدي:

إن تطبيق الفكرة الإسلامية للنظام الاجتماعي كفيل بحل كافة مشاكل المجتمع كما أنها الطريق الأسلم للوصول إلى السلام لان الإسلام لا يقيم السلام الشامل على حساب الفرد أو حساب الجماعة، ولا يقيمه على أساس من مصلحة طبقة ضد طبقة، أو سلطة دون سلطة، إنما يقيمه على حسابهم جميعا ولحسابهم جميعا فهو يرسم لكل فرد ولكل جماعة ولكل سلطة حدودها لتحقيق العدالة المطلقة فالقانون الإسلامي الذي لم يضعه فرد ولم تضعه طبقة ولم تضعه سلطة هو القانون المبرأ من الميل في صف فرد ومن محاباة طبقة ومن مراعاة سلطة ومن ثم فهو الحاجز دون طغيان طبقة على طبقة وهو الوقاية من ذلك الصراع الذي تحسبه المذاهب المادية ضرورة لا مفر منها.

٣ - يقوم الأدب النفسي والاجتماعي ويؤدي إلى تصفية الحياة وإشاعة جو المحبة والتالف والرحمة:

يسعى الإسلام بالنفس البشرية ليهذب أخلاقها، ويجدد لها قيمها ويسن لها آداب السلوك الاجتماعي لتنعم بالطمأنينة وتفر بالمودة وتزهو بالسلام في حياتها الاجتماعية، فحرم كل ما يمس كرامة الناس أو يلمزهم في مشاعرهم، أو يوقع الشك والريبة في نفوسهم أو يعكر صفو حياتهم، وبالمقابل أبرز الصورة الإيجابية للآداب لاستجاشة شعور المودة والألفة، فدعا إلى إفشاء السلام إشاعة للطمأنينة و الصفح عن الإساءة و السماحة في المعاملة، و الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يثير الأحقاد والضغائن، أو يفرق وحدة المسلمين أو يخلخل صفهم

المبحث الثالث: الجهاد

الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعا، يجب تبليغه والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة باللتي هي أحسن، لكن هذه الأساليب والوسائل قد تقابل بالتصدي،ويحال بين الناس وبين تبليغهم دعوة الله لإزالة أي عقبة تقف حائلا بين الناس والإسلام بالقوة المادية، والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وحامي حماه، والمجاهدون في سبيل الله هم صفوة خلق الله وهم الناصحون للعالم كله الباذلون نفوسهم ليسعدوا البشرية بالتمتع بهذا الدين لينالوا بذلك رضوان الله في الدنيا والأخرة، قوم باعوا أنفسهم وأموالهم لله ورغبوا في لقائه لينالوا الآخرة الأبدية التي يصطفي الله لها من خلقه خيارهم، فيتخذهم عنده شهداء، قوم بذلوا أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والدعوة إليه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وإرشادهم إلى الصراط المستقيم فيضموا من اهتدى بهدى الله إلى صفهم ويقوموا بالسيف على طغاة الصد عن سبيل الله حتى يخضعوا لسلطان الله. ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))[1].

وإذا كان السلام في الإسلام هو القاعدة فإن القتال في الإسلام هو الاستثناء، ولا مسوغ لهذه الحرب في نظر الإسلام إلا في إحدى هذه الحالات:-

الأولى:- حالة الدفاع عن أراضي وأموال وأعراض المسلمين عند الاعتداء عليها.

الثانية:- حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد في سبيلها بتعذيب من أمن بها أو بصد من أراد الدخول فيها أو بمنع الداعي من تبليغها[2].

أو في حالة الامتناع عن دفع الجزية لمن رفض الدخول في الإسلام من الجماعات والأنظمة.

---

[1] الصف (١٠،١١،١٢،١٣)

[2] سابق، سيد، فقه السنة، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، ١٩٨٦م، ج٣، ص١١٩

مفهوم الجهاد وأنواعه:-

الجهاد في اللغة:-

مأخوذة من الجهد وهو بذل الطاقة أو الوسع، أو هو المشقة.

وقال ابن حجر في الفتح: (والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة، ومنه قوله تعالى ((وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا))[1])[2].

والجهاد في الشرع:-

يعرفه ابن تيمية رحمه الله: (الجهاد هو بذل الوسع في حصول محبوب الحق) وقال في موضع آخر (ذلك أن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[3].

وعرفه الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى- بقوله: (الجهاد في سبيل الله أي الجهاد لتحقيق كلمة الله العليا، لا بإكراه الناس ليكونوا مسلمين بل بإتاحة الفرصة لهم ليتخلصوا من الظلم والذل، ويملكوا حرية الاختيار دون تدخل من القوة الطاغية الضالة، ويستمتعوا بالعدل المطلق الذي يريده لهم الله...)[4].

أنواع الجهاد:-

ومن خلال استقراء النصوص الشرعية الكثيرة التي حثت على الجهاد والقتال في سبيل الله، ومن خلال التعريف لمفهوم الجهاد يتضح أن أنواع الجهاد في سبيل الله هي:

١- **الجهاد بالنفس:**- وهو الخروج للقاء العدو ومباشرة قتاله واستخدام السلاح، والمشاركة فعليا في المعركة وبذل النفس في سبيل الله تعالى، وهو أقصى ما يمكن أن يطلب إلى الإنسان. قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ...))[5].

٢- **الجهاد بالمال:**- وهو بذل المسلم شيئا من ماله في تجهيز الجيوش الإسلامية بوسائل القتال، وتزويدها بالمؤونة اللازمة، وبكل ما يحتاج إليه المجاهدون لتحقيق النصر على الأعداء

---

[1] العنكبوت (٨)

[2] العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٣

[3] ابن تيمية، تقي الدين أحمد، الفتاوى الكبرى، مصر، ١٣٢٩هـ، ج١٠، ص١٩١-١٩٢

[4] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٤٩

[5] الصف (١٠،١١)

وإعزاز دين الله، بالإضافة إلى كفالة أهل المجاهد، وغالبا ما يقترن هذا الجهاد بالجهاد بالنفس. قال تعالى ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ))[1].

٣- الجهاد بالرأي:-

وهو الجهاد باللسان والقلم وإقامة الحجة على الأعداء، ودعوتهم إلى الله تعالى ويشمل أيضا الخطابة والكتابة والشعر وإعطاء المشورة التي تفيد المحاربين، وهذا كاستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في العديد من الغزوات والمعارك. عن أنس بن مالك رضي اله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأيدكم والسنتكم))[2].

٤- الجهاد بتكثير السواد:-

وذلك من خلال مشاركة المجاهدين في أعمال تتعلق بالجهاد، كنقل الجند وتزويدهم بالعتاد وجلب الماء وتحضير الطعام ومداواة الجرحى وحراسة المواقع.

حكم الجهاد:

من المسائل التي اتفق عليها أهل المذاهب الأربعة وجمهور العلماء أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، وهذا إذا كان المسلمون يقصدون الكفار في ديارهم للفتح والدعوة قال تعالى: ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[3]، أما إذا كان القتال في ديار الإسلام ففرض عين على الأقرب فالأقرب من ساحة القتال حتى تحصل الكفاية وإلا صار فرض عين على جميع المسلمين في كافة أقطارهم وديارهم كما أجمع أهل العلم قديما وحديثا سلفا وخلفا على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية إذا قام به البعض الكافي سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض فرض على الأقرب فالأقرب إلى ساحة الجهاد إلى أن يفرض على جميع أهل الأرض من المسلمين شرقا وغربا ومن جميع الجهات، فرض عين كفريضة الصلاة والصوم قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

---

[1] الأنفال (٦٠)

[2] النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم الحديث ٣٠٩٦

[3] التوبة (١٢٢)

المتقين))[1]، لذلك إذا تركه الكل صار فرضا على الكل وأثموا جميعا، ويتعين أيضا على من حضر الصف عند التقاء أو التحام الجيشين قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[2] وكذلك عند مهاجمة العدو بلدة من بلاد الإسلام أو حصارها أو دخولها، كما يتعين على من استنفر للقتال نفيرا خاصا، كان يستنفر الإمام أشخاصا بأسمائهم وأعيانهم أو نفيرا عاما، كان يستنفر الإمام الناس جميعا قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ))[3].

أهداف الجهاد:-

الجهاد مصطلح إسلامي تقابله كلمة الحرب عند الأمم الأخرى، والفرق بينهما هو أن الجهاد حرب شريفة البواعث نبيلة الأهداف والغايات، ولا تكون إلا في سبيل الله ولإعلاء كلمته ولدفع العدوان عن دينه ونشر الإسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلم الحكام إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، أما الحرب عند الأمم الأخرى فغالبا ما تكون للبغي والعدوان وحب السيطرة على الشعوب، وبسط النفوذ عليها والاستيلاء على الأموال وإزهاق الأرواح وإشباع المطامع والشهوات، كالحرب التي شنتها ولا تزال الدول الغربية لاستعمار البلاد الإسلامية وبسط النفوذ على أهلها المسلمين ونهب خيراتهم وثرواتهم.

وقد لخص الشهيد أهداف الجهاد في نقاط ثلاث بقوله: (لقد انتضى الإسلام السيف وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحدا على الإسلام، ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد، **جاهد الإسلام أولا:**- ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم ... وإذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه.

وجاهد الإسلام ثانيا:- لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة.

---

[1] التوبة (١٢٣)

[2] الأنفال (١٥،١٦)

[3] التوبة (٣٨)

فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، و بأرقى نظام لتطوير الحياة، جاء بهذا الخير ليهدى إلى البشرية كلها ويبلغها إلى أسماعها وقلوبها، فمن شاء بعد العيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا إكراه في الدين، ولكن ينبغي أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة،.. وأن تزول الحواجز ... ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين، فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة والدعاة وما يزال هذا الهدف قائما وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين.

وجاهد الإسلام ثالثا:- ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان... ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر...والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية بغير حق... وهذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لا تعيق عقيدة الإسلام وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام...لابد للإسلام من نظام ولابد للإسلام من قوة، ولابد للإسلام من جهاد فهذه طبيعته التي لا يقوم بدونها إسلام يعيش ويقود ((لا إكراه في الدين)) نعم ولكن ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ))...[1].

الجهاد في الإسلام حركي وليس دفاعي:-

مما سبق من بيان لأسباب الجهاد وبواعثه نستطيع أن نلحظ أن الجهاد في الإسلام لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم، بمعنى أنه لا يجوز للدولة الإسلامية أن تهاجم دولة غير إسلامية إلا إذا هاجمتها هذه الأخيرة، كما يذهب إلى ذلك الكثير ممن تأثروا بآراء المستشرقين والفكر الغربي وتأثروا بواقع المسلمين حيث الغلبة للمعسكر الغربي، وهذا القول يخالف طبيعة هذا الدين ومنهجه الحركي يقول الشهيد (... والسمة الثانية في منهج هذا الدين: هي الواقعية الحركية فهي حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها، فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة، كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة... والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد، ولا يراعون هذه السمة فيه، ولا يدركون طبيعة المراحل التي

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥ بتصرف

مر بها المنهج وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة فيها الذين يصيغون هذا يخلطون خلطا شديد، ويلبسون منهج هذا الدين لبسا مضللا ويحملون النصوص مالا تحتمله من المبادئ والقواعد، ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصا نهائيا، ويقولون وهم مهزومون تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان:- إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلا بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا وهو تعبيد الناس لله وحده.. لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها، والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها.. والمهزومون روحيا وعقليا ممن يكتبون عن الجهاد في الأحلام ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه...وهما أمران لا مجال للاقتباس فيهما ومن أجل هذا التخليط يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام بما يسمونه اليوم: (الحرب الدفاعية)... والجهاد في الإسلام أمر آخر... فبواعث الجهاد يجب تلمسها في طبيعة الإسلام ودوره في هذه الأرض وأهدافه العليا التي قررها الله...

أما محاولة إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة على الوطن الإسلامي، فهي محاولة تنم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين ولطبيعة دوره في الأرض، كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي...) [1].

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٢-١٤٣٦ بتصرف شديد.

الجوانب التربوية لوظيفة الجهاد في الإسلام:

١-تدريب للمسلم على تحمل المسئولية:

سعى الإسلام من خلال تقريره للجهاد إلى تدريب المسلم على تحمل المسئولية الملقاة على عاتقه من خلال المحافظة على هذا الدين من أن يمسه أذى أو يتعرض له مفسد أو يمنع وصوله إلى الأمم الأخرى ضال، وإذا تمكن هذا الأمر من نفس المسلم واصبح يملك زمام نفسه ليبذلها رخيصة في سبيل عقيدته فانه ولا شك قادر على أن يحافظ على تشريعات دينه وان يجعل هواه تبعا لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

٢-حفظ الحرية والأمن والطمأنينة للنفس البشرية: :

جاء الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر فيها وهذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، وتحافظ على أمنه وطمأنينته وحتى لا تعيق عقيدة الإسلام وتصان فيه حرمات كل الناس على اختلاف مللهم ونحلهم، حتى الذين لا يعتنقون الإسلام.

الخاتمة

لقد عالج الباحث موضوع الدراسة في إطار السعي للتعرف على بعض من الجوانب التربوية في الفكر السياسي عند الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى باعتباره أحد رواد الفكر الإسلامي الشامل الحديث والمعاصر وحاولت الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيس الآتي:

ما هي الجوانب التربوية في الفكر السياسي عند سيد قطب؟.

وقد أثبتت الدراسة عبر فصولها أن العمل السياسي وممارسته يرتبط أيما ارتباط بالعملية التربوية من حيث التأثير والتأثر فالسلطة والممارسة السياسية عند سيد قطب مفهوم كلي يتكون ويتشكل من خلال مجموعة مفاهيم رئيسة مرتبطة لتشكل رابطة سياسية تنطلق من مبدأ جعل الحاكمية لله تعالى ابتداء ومن ثم باقي المبادئ السياسية الأخرى للدولة الإسلامية لتلقي بظلالها التربوية فكروا وسلوكا على حياة الأفراد والمجتمعات والدول.

كما بينت الدراسة أن هنالك ضوابطا متعددة تشكل الإطار الذي ينبغي أن تسير فيه الدولة الإسلامية وان لا تخالفه ومن أهم هذه الضوابط الالتزام بالقيم السياسية الإسلامية وبالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية وبينت انه لابد من الالتزام التام بالأصول العقدية والضوابط الشرعية .

كما توصلت الدراسة إلى تميز رؤية سيد قطب رحمه الله تعالى للنظرية السياسية والإسلامية وتأثرها بالجوانب والأبعاد التربوية وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية:

١-أن سيد قطب قدم مساهمات واضحة وجديرة بالاهتمام والدراسة بخصوص اثر وجود الدولة الإسلامية وممارستها للعملية السياسية على الجانب التربوي للأفراد والمجتمعات والدول واستطاع أن يجمع بين التأصيل المعرفي الأصولي والقراءة النقدية الاستنتاجية للتراث الإسلامي والفكر الغربي الحديث.

وبهذا الخصوص تتمايز رؤية سيد قطب عن الاتجاه الفكري الإسلامي المعاصر الذي أصابته حالة من الجمود فأخذ يجتر ويكرر مقولات التراث السياسي الإسلامي ومفاهيمه دون التمييز بين ما هو أصيل منبثق من الوحي وما هو عارض مرتبط بالظروف التاريخية السياسية و الإكراهات الواقعية.

وتتمايز رؤيته كذلك عن الاتجاه الفكري الحديث الذي أدار ظهره للتراث والأصالة والتفت إلى الغرب وحضارته فاخذ يستدعي ثقافته ومفاهيمه وقيمه وأخلاقه دون النظر والتدقيق في

الاختلافات الاجتماعية والحضارية والثقافية فكان أن زاد الطين بلة وخلق حالة من الفصام الذاتي داخل الإطار الاجتماعي والحضاري الإسلامي.

لكن يجدر بالذكر في هذا السياق انه على الرغم من الإسهامات الواضحة للشهيد لإيجاد النظرية السياسية الإسلامية إلا انه لم يفصل ولم يستفض في مؤسسات السلطة السياسية من الناحية الهيكلية القانونية والأنظمة الداخلية لان ذلك لم يكن من أولوياته بالنسبة للظروف التاريخية التي عايشها مقارنة بمسالة إيجاد المجتمع الإسلامي ونشر الفكر الإسلامي الشامل وبعث القيم والأخلاق.

٢-ان الشهيد لم ينفصل عن واقعه وبيئته ويحلق في اليوتوبيا ليبني مدينته الفاضلة والموجودة في عالم الفلسفة فقط بل تفاعل مع واقعه وقرأه قراءة جيدة وقدم أراءه في ضوء هذا الواقع ولذلك كان يظهر بين بعض أراءه تناقضا واختلافا لكن في حقيقة الأمر فان مصدر هذا التناقض هو الظروف التاريخية المتطورة والمختلفة التي كان يتعامل معها ويقدم أراءه في ظلالها.

وبنفس الدرجة التي تفاعل معها الشهيد مع واقعه لم يسبح في عالم الخيال فقد سما عن القبول بالواقع والخضوع له في أفكاره و أراءه فكان تعامله مع الواقع مبنيا على أساس انه معتبر وغير محكم وبذلك تميزت رؤية الشهيد العامة ورؤيته السياسية الخاصة في الموازنة بين الواجب والممكن والواقع ومن هنا برزت الضرورة للتمييز بين الأفكار السياسية الثابتة والمعبرة عن رؤيته لمفهوم السلطة وبين مواقفه التاريخية ولا يوجد عناء كبير في هذا التمييز إذا قام أي باحث باستقراء أفكاره من مصادره المختلفة واستنتاج المنطق العام الذي يحكم هذه الأفكار وينسجها على منواله مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الظروف التاريخية والسياسية المحيطة بالرجل.

٣-ان الجدير والجدير بان نستفيده من أفكار وإسهامات الشهيد السياسية ما يأتي:

أ) ضرورة التأصيل المعرفي والمرتبط بين مصادر التنظير السياسي الإسلامي وبين أراء المفكر السياسي الاجتهادية.

ب) دور الدين وما ينبثق عنه من خصائص ومبادئ وقيم وأخلاق في الفكر السياسي الإسلامي وضوابط ممارسة هذا العمل السياسي وتمايز الرؤية الإسلامية بهذا الخصوص عن غيرها من الرؤى.

ج) أهمية موضوع النظرية السياسية الإسلامية وضرورة تأكيد الفكر السياسي الإسلامي اليوم عليها خاصة في أوقاتنا هذه حيث ظهرت الأنظمة الاستبدادية في العالم العربي والإسلامي

وسادت لغة القوة والغلبة على لغة السلام والانتخابات الصورية والمزورة وانهيار الجانب الأخلاقي والقيم العليا مثل العدل والمساواة وفي هذا كله تغييب لدور الأمة و إرادتها وخروج عن حقيقة الغاية التي وجدت من اجلها.

د) أن الناس في نظر الإسلام متساوون من حيث كونهم بشرا ولذلك فان منطق العمل السياسي في الإسلام يقوم على منطق الحريات وحقوق الإنسان ومن ثم فان نظرة الشعوب المسلمة والقوى السياسية في العالم الإسلامي لا بد أن تنطلق من هذه الرؤية ومن هنا لا بد من رفض الصور الأخرى لتقديس الحكام والدساتير الوضعية وتغييب الشورى وظهور الفساد السياسي والأخلاقي في المجتمعات.

هـ) حيوية الأمة وقوة ثقافتها رافد رئيس ومهم في توجيه الحياة السياسية وضبط لاخلاقها وقيمها بما لا يتناقض مع مصالح الأمة وثوابتها العامة.

٤) أن الشهيد رفض علاقة التبعية من قبل العلماء للسلطة السياسية وهاجم مثقفي السلطة الذين يسوغون لها التمادي في الغي وتجاوز الحدود في الطغيان وحمل الذين قبلوا بحكم المتغلب مسؤولية ما وصلت إليه الأمة والشعوب المسلمة من سوء حال وضعف قوة وقلة حيلة ذلك ان منطق الخضوع والخنوع للحاكم وان استبد وتجبر نزل على الناس من سماء الفتوى الشرعية.

لقد كانت هذه الحياة السياسية الخصبة للرجل وعلاقاته المتناقضة مع السلطة السياسية مثار انتقاد وحمل علامات استفهام نالت شخصيته وان كانت الأحداث السياسية المتسارعة والمتناقضة والمتقلبة وقته تفرض نفسها في مجال تحليل هذه العلاقات العملية إلا أن الأمر بحاجة إلى دراسة موسعة ومستقلة متخصصة بهذا الموضوع.

أخيرا يلفت الباحث الانتباه إلى مجموعة من القضايا والموضوعات الجديرة بالدراسة في فكر الرجل:

١) أن عددا من المجلات والصحف مثل البلاغ و الرسالة و الفكر الجديد والعالم العربي والإخوان المسلمون ..... ، مصدر غني بالأفكار والمعلومات وبتوثيق تلك المرحلة التاريخية سياسيا وثقافيا لما فيها من وثائق سياسية منشورة وكتابات المفكرين السياسيين لذلك يوصي الباحث بضرورة تولي مؤسسات علمية إعادة طبع ونشر مثل هذه المجلات والصحف ودراسة العديد من موضوعاتها.

٢) إشكالية الفكر والحركة عند الشهيد والذي جمع بين كونه مفكرا وداعيا وحركيا يمكن ان تكون موضوعا خصبا للدراسة حول الشهيد والفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.

المراجع

أرسلان، شكيب، **حاضر العالم الإسلامي**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م

بركات، محمد توفيق، **سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه**، بيروت، دار الدعوة، د.ت

بسيوني، حسن السيد، **الدولة ونظام الحكم في الإسلام**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م

بسيوني، عبد الغني عبدالله، **نظرية الدولة في الإسلام**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩١م

ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩م

ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **الفتاوى الكبرى**، مصر، ١٣٢٩هـ

الجصاص، احمد بن علي، **أحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م

جلال، عبدالفتاح، **من الأصول التربوية في الإسلام**، مصر، سرس الليان، ١٩٧٧م

حسن، محمد علي، **العلاقات الدولية في القرآن والسنة**، عمان، مكتبة النهضة الإسلامية، ١٩٨٠م

حسين، محمد محمد، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، بيروت، دار النهضة العربية، ط٣

الخالدي، صلاح، **الشهيد الحي سيد قطب**، عمان، الأردن، مكتبة الأقصى، ط١، ١٤٠١هـ

الخالدي، صلاح، **أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب**، جدة، دار المنارة، ط٢ ١٩٨٦م

الخالدي، محمود ، **قواعد نظام الحكم في الإسلام**، عمان، مكتبة المحتسب، ط٢، ١٩٨٣م

الخباص، عبدالله، **سيد قطب الأديب الناقد**، عمان، الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٣م

خلاف، عبدالوهاب، **السياسة الشرعية**، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٧م

خليفة، عبدالرحمن، **في علم السياسة الإسلامي**، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٩م

خليل، محسن، **النظم السياسية والقانون الدستوري**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م

الدقس، كامل، **الدولة الإسلامية**، عمان، دار الأرقم، ط١، ١٩٩٣م

رزق، جابر، **الإخوان المسلمون في سجون ناصر**، القاهرة، دار الاعتصام، ط٢، ١٩٧٨م

الريس، محمد ضياء، **النظريات السياسية**، مكتبة ألا نجلو المصرية، ط ٣، ١٩٦٠م

زكي، محمد شوقي، **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، د.ت

أبو زيد، فهمي مصطفى ، **فن الحكم في الإسلام**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م

أبو زيد، مصطفى، **مبادئ الأنظمة السياسية**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٤م

سابق، سيد، **فقه السنة**، جدة، دار الأصفهاني للطباعة، ١٩٨٦م

سلطان، محمود السيد، **مقدمة في التربية**، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٩م

سيد، طه عزمي، "**الثقافة الإسلامية مفهومها، مصادرها، مجالاتها**"، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م

الشكعة، مصطفى، **إسلام بلا مذاهب**،شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده،١٩٧٩م

شلتوت، محمود، **من توجيهات الإسلام**، القاهرة، دار الشروق، د.ت

الشيباني، عمر تومي، **فلسفة التربية الإسلامية**، طرابلس، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،١٩٧٥م

الطبري،محمد بن جرير،**جامع البيان في تفسير القرآن**، دار المعارف، ط٢

عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، دار الفكر، ط١، ١٩٨٦م

القرطبي، محمد بن عبدالله، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت

عتيق، عمر عبدالعزيز، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، بيروت، مطبعة حداد، د.ت

العسقلاني، ابن حجر،**فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، مصر،المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ

العقاد، عباس محمود، **الديمقراطية في الإسلام**، القاهرة، دار المعارف،١٩٨١م

علي، سعيد إسماعيل، **أصول التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م

العمري، أحمد، **السياسية والحكم**، القاهرة، مكتبة الأنجلو، د.ت

العوا، محمد سليم، **النظام السياسي للدولة الإسلامية**،القاهرة، المكتب المصري الحديث، ط٦،١٩٨٢م

عودة، عبدالقادر، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**، ط٢، ١٩٦٧م

أبو عيد، عارف خليل، **نظام الحكم في الإسلام**،عمان، دار النفائس، ط١، ١٩٩٦م

الغالي، كمال ، **مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية**، دمشق، مطبعة الداوودي، ١٩٨٥م

الغزالي ،محمد ، **مبدأ الشورى في الإسلام**، القاهرة، دار الكتاب الحديثة، ١٩٦٩م

غوشة، عبدالله، **الدولة الإسلامية دولة إنسانية**، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)، عمان، الأردن

أبو فارس، محمد، **النظام السياسي في الإسلام**، عمان، دار الفرقان، ط٣، ١٩٨٦م

فضل الله، مهدي، **مع سيد قطب في فكره السياسي والديني**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٨م

ابن قدامه المقدسي،أحمد بن محمد، **مختصر منهاج القاصدين**،بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩٤هـ

القرضاوي، يوسف، **السياسة الشرعية**، القاهرة، مطبعة الموفي، ط١، ١٩٩٨م

القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**،، بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٦٧م

قطب، سيد، **الأطياف الأربعة** (بالاشتراك مع إخوته)، ط٢، ١٩٦٧م

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ، بيروت، دار الشروق، د.ت

قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، مكتبة وهبة، ط٣

قطب، سيد، **النقد الأدبي**، بيروت، دار الشروق، د.ت

قطب، سيد، **أيها العرب إستيقضوا واحذروا**، تجميع جمال مدغمش،عمان ،دار الإسراء.

قطب، سيد، **دراسات إسلامية**، القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٣م

قطب، سيد، **طفل من القرية**،جدة، الدار السعودية للنشر، ط٤، ١٩٦٧م

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**،بيروت دار الشروق، ط١١، ١٩٨٥م

قطب، سيد، **مشاهد القيامة في القرآن**، بيروت، دار الشروق، د.ت

قطب، سيد، **معالم في الطريق**، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٧٩م

قطب، سيد، **مهمة الشاعر في الحياة**، عمان،مكتبة الأقصى، د.ت

قطب، سيد، **نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر**،جدة، الدار السعودية، ط٢، ١٩٦٩

قطب، سيد، **هذا الدين**،بيروت، دار الشروق، د.ت

قطب، سيد، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، القاهرة، ١٩٦٧م

قطب، سيد،**العدالة الاجتماعية في الإسلام**، بيروت، دار الشروق، ١٩٧٨م

قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ط٢، ١٩٨٨م

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الطرق الحكمية في السياسية الشرعية**، تحقيق محمد جميل غازي، القاهرة، مطبعة المدني، د.ت

متولي، عبدالحميد، **مبادئ نظام الحكم في الإسلام**،القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م

المرصفي، محمد علي، **من المبادئ التربوية في الإسلام**،جدة،عالم المعرفة، د.ت

المطيعي، محمد بخيت، **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**، القاهرة، ١٣٤٤هـ

ابن منظور، **لسان العرب**،بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٠م

المودودي، أبو الأعلى، **الحكومة الإسلامية**، ترجمة أحمد إدريس، القاهرة، مكتبة المختار الإسلامي، د.ت،

النادي، فؤاد محمد، **موسوعة الفقه السياسي الإسلامي ونظام الحكم في الإسلام**، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٠م

ناصر، إبراهيم، **أسس التربية**، عمان، دار عمار ، ط٤، ١٩٩٩م

ناصر، إبراهيم، **مقدمة في التربية**، عمان ،المطابع التعاونية، ط٦، ١٩٨٦م

النحوي،عدنان، **الشورى لا الديمقراطية**، الرياض، دار النحوي، ط٤، ١٩٩٢م

الندوي، أبو الحسن، **مذكرات سائح في الشرق العربي**،بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٧٥م
ابن هشام،عبد الملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٥٢م
هندي، صالح ذياب، **دراسات في الثقافة الإسلامية**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط٣، ١٩٨٢م
بدوي،محمد طه،**المنهج في العلوم السياسية** ،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية،ط١،١٩٩٨م،
حامد ،ربيع،**ابحاث في النظرية السياسية**،**ابحاث غير منشورة**،جامعة القاهرة،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
غالي،بطرس بطرس،**المدخل في علم السياسة**،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط٧،١٩٨٩
مجاهد،حورية توفيق،**الفكر السياسي من أفلاطون الى محمد عبدة**،المكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،ط٢،١٩٩٢
بيرنز،ادوارد وارم،**النظريات السياسية في العالم المعاصر**،ترجمة عبد الكريم احمد،دار الأدب،بيروت،ط٢،١٩٨٨
مراد،علي عباس،**دولة الشريعة قراءة في جدلية الدين والسياسة عند ابن سينا** ،دار الطلبة،بيروت،ط١،١٩٩٩
الماوردي ،ابو الحسن،**الأحكام السلطانية** ،دار الفكر،بيروت،د.ت.
سوي،خير الدين بوم،**تطور الفكر السياسي عند أهل السنة فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الهجري**،دار البشير،عمان،ط١،١٩٩٣
الجابري،محمد عابد،**فكر ابن خلدون والعصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**،مركز الدراسات الوحدة العربية،بيروت،ط٦،١٩٩٤
شفيق،منير،**الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات** ،الناشر لطباعة والتوزيع،بيروت،ط٣،١٩٩١م

الدوريات

مجلة الرسالة، مجلد ٢ عدد ٦٩١

مجلة الرسالة، العدد ٩٦١، ٣/ديسمبر ١٩٥١م

مجلة المجتمع، عدد ١١٥ /أغسطس ١٩٧٢

مجلة الرسالة، المجلد ٢، السنة ١٤، عدد ٦٨١، ٢٢ يوليو ١٩٤٦م،

مجلة الرسالة، المجلد الأول، العدد ١٩٤٣، السنة ١٩

جريدة الميثاق الإسلامي في السودان، عدد ٣٢٤ ،بتاريخ ١٩٦٦/٩/١٦م

مجلة الثقافة، السنة الثالثة عشر العدد ٦٦٣ بتاريخ ١٩٥١/١٢/١٠

مجلة الرسالة، يناير ١٩٤١، العدد ٣٩٤

جريدة اللواء، عمان، الأردن، العدد ١٣٦٨، السنة الثامنة والعشرون، ٢٥ آب ١٩٩٩م